

رسالة مار مينا

الثانية عشر

صور من تاريخ القبط

(الجزء الثانى)

تذكار تكريس كنيسة مارمينا بمريوط

١٥ بؤنه ١٧٠٦

٢٢ يونيو ١٩٩٠

مطبوعات جمعية مارمينا العجايبى بالاسكندرية

رسالة

مارمينـــــا

الثانية عشر

صُور من تاريخ القبط

(الجزء الثانى)

مطبوعات

جمعية مارمينا العجايبى

للدراسات القبطية ــ بالاسكندرية

١٩٩٠ م ــ ١٧٠٦ ش



الكتـــــاب : رسالة مارمينا الثانية عشر

صور من تاريخ القبط (الجزء الثانى)

الطبعـــــة : الأولى يونيو ١٩٩٠

الناشــــــر : جمعية مارمينا العجايبى للدراسات القبطية بالاسكندرية

الجمع والطباعة: مركز الدلتا للجمع التصويرى ـــ اسبورتنج ـــ الاسكندرية .

ت : ٥٩٥١٩٢٣

الغلاف والرسومات الداخلية : المرحوم الاستاذ بديع عبد الملك غطاس

بالمتحف اليونانى الرومانى بالاسكندرية



الشهيد المصرى العظيم مارمينا العجايبى
عميد شهدائنا القبط وشفيع مسيحى مصر

(٢٨٥ ـ ٣٠٩ م)

(عن لوحة رخامية من بقايا الكنيسة الأثرية للقديس
بمنطقة مريوط وموجودة حاليا بالمتحف اليونانى الرومانى بالاسكندرية)

الاهـــداء

إلى الأم القبطيـــة

التـــى مـــن ابنائهـــا يخـــرج
بابـــا الاســـكندريـــة
وكاهـــن الكنيســـة
وراهـــب الديـــر
وشمـــاس الهيكـــل
والتى فى **قوتها** ... قوة للكنيسة
وفى **شخصيتها** ... تتحدد معالم شخصية الكنيسة
وفى **قداستها** ... تتحول بيوتنا الى :
بيوت صلاة ... بيوت طهارة ... بيوت بركة

فإلى كل أم عرفت وتعرف أن تكون أماً فى صمت ووقار
نهدى هذا العمل المتواضع . . .

والى روح راحلنا العزيز والمؤرخ الكنسى القدير
الدكتور منيـر شـكرى

فهرس الموضوعات

صفحة

كلمة الجمعيـة

إنه ليسعدنا اليوم حقاً أن نتقدم برسالتنا الثانية عشر هذه (**صور من تاريخ القبط** ــ الجزء الثانى) لنضعها الى جانب رسائلنا السابقة خدمة لتاريخنا القومى ، ورغبة صادقة منا فى أن يجد المتشوقين لمعرفة تاريخ بلادهم واجدادهم ما يشبع رغبتهم ، وأيضاً لإنارة السبيل امام الراغبين فى التعمق فى هذه الدراسات . ففى وعى التاريخ معاصرة واستجماع للانطلاق نحو المستقبل بخطى واضحة وليس اجترار للماضى . وهذاماجعلنا أن نسجل فى كلمة الجمعية التى تصدرت الجزء الأول من (صور من تاريخ القبط) منذ اربعين عاماً : (... فهذه الرسالة تحية وفاء وتقدير وتكريم لذكرى عظمائنا الأفذاذ الذين تحدثنا عنهم فى هذه الفصول وكذلك الذين لم نتحدث عنهم اكتفاء بمن ذكرنا على سبيل المثال ، اولئك وهؤلاء جميعا ممن أنفقوا مواهبهم وقواهم وحياتهم ذاتها لخير بلادهم ومواطنيهم بل والانسانية جمعاء . ومع ما خلفوه من آثار جليلة الشأن بعضها على التاريخ المصرى وبعضها الآخر على تاريخ العالم) ...

ورسالتنا هذه ــ التى نصدرها فى ذكرى مرور خمسة وأربعون عاماً على تأسيس جمعيتنا ــ متضمنة بحوثاً تاريخية مبسطة عن بعض عظماء الرجال ، اخترناهم من معرض التاريخ القبطى فيما بين القرن الثانى الميلادى الى القرن العشرين .

ففى ذكرى تأسيس جمعيتنا ــ التى اوحى لنا بأسمها المتنيح البابا كيرلس السادس ــ سجل رئيس جمعيتنا السابق الدكتور منير شكرى ــ والذى استقر به المقام حالياً بكندا لبعض الظروف الصحية ــ كلمة تاريخية عن نشاط الجمعية فى خدمة تاريخنا القومى ، فكانت جديرة بأن تتصدر رسالتنا .

ولأهمية التعرف على تاريخ كنيستنا مهدنا بمقال (تاريخ الكنيسة.. لماذا؟) ــ وكاتبه له أهتمامات كبيرة فى مجال التاريخ الكنسى ــ فجاء المقال معبراً تعبيراً صادقاً عن أهمية الدراسة التى نقدمها .

بعد ذلك بدأنا نستهل شخصيات هذه الرسالة بشخصية الأب الفيلسوف اكليمنضس الاسكندرى (١٥٠ م ـــ ٢١٥ م) وهو أحد ابرز معلمى وفلاسفة الكنيسة الكبار ، وكان واحداً من مديرى مدرسة الأسكندرية اللاهوتية فى عصرها الذهبى .

ثم انتقلنا بعد ذلك لعرض شخصية البابا الاسكندرى الوقور البطريرك ديوسقورس بطل الارثوذكسية (٤٤٤ م ـــ ٤٥١ م) والذى تعرض لاضطهادات لا حصر لها نظير امانته فى المحافظة على الإيمان الارثوذكسى .

وبعد ذلك تناولنا شخصية مهوبة سيطرت على القرن السابع كله حتى اقترن اسم القرن السابع بأسم البابا بنيامين الأول البطريرك الثامن والثلاثون (٦٢٣ م ـــ ٦٦٢ م) والذى يقترن عصره باحداث جسام أختلف فى تدوينها الباحثون والمؤرخون ، ومن هنا كانت الكتابة شاقة على كاتب المقال الذى وجد نفسه امام آراء كثيرة ومتناقضة لذلك كان لزاماً أن يتحرى الدقة مع مراعاة ظروف الكتابة .

ثم ختمنا رسالتنا هذه بمقال عن البابا مكاريوس البطريرك الثالث عشر بعد المائة (١٩٤٤ م ـــ ١٩٤٥ م) وكنا قد طلبنا من نيافة الحبر الجليل الانبا ميخائيل مطران أسيوط ورئيس دير انبا مقار والذى تقبل موهبة الأسقفية فى ٢٥ أغسطس ١٩٤٦ م أن يوافينا بمقال عن طيب الذكر البابا مكاريوس والذى كان مطراناً لأسيوط من قبل ، فقام نيافته مشكوراً بتكليف القمص أيوب مسيحة سكرتير مطرانية أسيوط بتدوين هذه السيرة (مرفق صورة من خطاب القمص ايوب مسيحة بنهاية كلمة الجمعية) ، فكانت لفتة طيبة من نيافته ومقالة قيمة من قدس القمص ايوب مسيحة نشكرهما عليها .

ثم لا يفوتنا أن نذكر هنا أننا قد قدمنا اهداء هذه الرسالة الى الأم القبطية ... فالأم القبطية مسئولة بالدرجة الأولى عما نحن فيه ، انها مسئولة بالدرجة الأولى عن الاخطاء التى نعانى منها كما أنها وراء كل مجد من امجاد كنيستنا . لذلك الأم القبطية الواعية هى التى تقدم لأولادها وبناتها صور من حياة آباء الكنيسة

العظماء فينشأ الجيل على القداسة والتقوى ومن هنا نجد الشاب والشابة ، الشماس والراهب ، الكاهن والأسقف الأقوياء بحق .

وفى هذا المقام ينبغى لنا أن نوجه كلمة شكر وتقدير وأحترام للمؤرخة الكنسية القديرة الاستاذة ايريس حبيب المصرى والتى قدمت فى كتابها السادس من قصة الكنيسة القبطية عرضاً طيباً عن نشاط جمعيتنا فى حوالى سبعة صفحات (٢٣٥ــ٢٤١) . ومما جاء فى كلمتها :

« ... ومن اوضح الادلة على نكرانهم ذواتهم انهم حتى فى الكتاب الذى نشروه أحتفاء بيوبيل جمعيتهم ــفى هاتور سنة ١٦٨٦ش/نوفمبر سنة ١٩٧٠مــ لم يذكروا اسماء المجموعة الأولى التى أسست الجمعية بل اكتفوا بذكر اسم رئيسهم لأنه كان قد انتقل الى الفردوس ــ وهو العالم الاثرى بانوب حبشى : فقد كان ــ رحمه الله ــ شعلة من الإيمان والرجاء والمحبة ، كما كان عالماً ضليعاً ، ظل على جهاده على الرغم من مرضه ، فصارع حتى النهاية » .

ثم أضافت قائلة :

« ... ولما كانت الجمعية قد انشئت فى الفترة التى أحتدمت فيها الدعايات الانتخابية حول المرشحين للكرسى المرقسى ؛ ولما كانت قد قضت الفترة الأولى من جهادها وسط التيارات المتعارضة ، فإنها حرصت على أن تتجه نحو العمل البنّاء فى سلام وسكون لتستطيع تحقيق رسالتها التى تعاهدت على تنفيذها . والبناء الصميم لا يستقيم الا فى تجنب المصادمات التحزبية . **واننا لنرى فى الخطة التى انتهجتها جمعية مارمينا العجايبى صورة من التوازن العجيب الذى يوجده الأب السماوى بين آبنائه رعاية منه لهم ومحبة للكنيسة** » .

من هذا المنطلق ترى الجمعية أنه من واجبها أن تصوغ للأحفاد من تاريخ الأجداد هذه الصورة المجيدة من التاريخ العظيم لعلهم يجدون فيها ذكريات نافعة يتعظون بها ومثلا عليا يهتدون بهديها والحاناً شجية يترنمون بانشادها . فالوطنى الكنسى **يعرف كيف يتواصل بالحقيقة مع التقاليد الأصيلة لكنيسته العريقة** مع التراث الحقيقى فى جوهره ثم ينطلق قوياً ... قبطياً جديراً بهذا الأسم الكريم

ويسعد الجمعية فى ختام هذه الكلمة أن تعرب عن شكرها الخالص وتقديرها للسادة الأفاضل الذين حرروا فصول هذه الرسالة والذين حملوا مسئولية الاشراف على طبعها .

بعد أن انتهت الجمعية من اعداد الكتاب وقبيل تسليمه للمطبعة بساعات قليلة جاءنا من كندا خبر انتقال استاذنا الفاضل الدكتور منير شكرى الى الامجاد السماوية بعد رحلة كفاح مشرف فى خدمة الثقافة القبطية والتاريخ الكنسى والجمعية اذ تشعر بهذه الخسارة الفادحة إنما يعزيها أن فيض كتاباته العديدة مازال ينير الطريق امام الكثيرين . والجمعية تطلب له راحة ونياحا فى أحضان الآباء القديسين .

الجمعية

صدر فى بؤونة ١٧٠٦ ش / يونيه ١٩٩٠م — تذكار تكريس كنيسة مارمينا بمريوط وتذكار خمسة واربعون عاماً على تأسيس الجمعية

الابناء المباركين رئيس واعضاء جمعية مارمينا العجايبي بالاسكندرية

تحية تكريم وسلام من الله لمحبتكم

يسرني كثيرا ان ابعث اليكم المقال الخاص لقداسة الانبا مكاريوس مطران اسيوط والبطريرك الكرازة المرقسية

وذلك بناء على تكليف خاص من حضرة صاحب النيافة الحبر الجليل الانبا ميخائيل مطران اسيوط وبناء على طلب محبتكم

الرب يبارك رسالتكم لخدمة الكنيسة المقدسة

والرب مع محبتكم

١٢-١٢-١٩٨٩

القمص ايوب مسيحه
سكرتير مطرانية اسيوط

صورة من الرسالة الخطية التى وصلتنا من جناب القمص أيوب مسيحة (سكرتير مطرانية أسيوط) مرفقة بمقاله عن الانبا مكاريوس البطريرك الاسكندرى .

جمعية مارمينا العجايبى بالاسكندرية
أو
خمسة وأربعون عاماً فى خدمة تاريخنا القومى

للدكتور منير شكرى

فى نوفمبر عام ١٩٤٥ قام فريق من شاب الاسكندرية لا يتجاوزون أصابع اليدين عداً بالعمل على نشر تاريخ العصر القبطى ، الذى هو جزء هام من تاريخنا القومى لم ينل ما يستحقه من دراسة لسبب أو لآخر ، مع أن تاريخ هذا العصر ملىء بالامجاد وفيه تجسيد للروح المصرية التى نعتز بأرومتها وكرامتها ، إذ له آثار بالغة الأهمية ليس على التاريخ المصرى فحسب وإنما على تاريخ العالم والحضارة الإنسانية جميعا .

وقد بدأوا خطواتهم بنشر نداء يوجهون فيه الانظار الى ذلك التاريخ المجيد والتراث العريض الذى يحتوى على اروع صفحات الوطنية والبطولة والجهاد . ويوجزون فيه برنامجهم وهو **الكشف للأحفاد عن مآثر الاجداد واطلاع الخلف على ما كان عليه السلف** ليسترشدوا ويقتفوا أثرهم وليشيدوا مستقبل ابنائهم وقد عمرت اذهانهم بصور آبائهم .

وكان من أهم ما توسلت به فى تأدية رسالتها **نشر رسائل ودراسات علمية مبسطة** عن أهم المواضيع التى يتعين على كل قبطى الالمام بها ، وكذلك **احياء ذكرى شهداء القبط وابطالهم ونوابغهم فى كافة العصور** بالخطابة والكتابة ، **واعدادرحلات للاماكن الاثرية** التى يهم كل قبطى زيارتها .

وكانت باكورة تلك النشرات (انظر صورة (١) المرفقة فى نهاية المقال) تلك التى اصدرتها الجمعية فى عيد تكريس كنيسة الشهيد مارمينا العجايبى بمريوط عام ١٩٤٦ عندما قامت برحلة الى تلك الجوهرة الراقدة فى اقليم مريوط والمدينة المرمرية

الراقدة بين رمال الصحراء ، مدينة مارمينا العجايبى ، وقد جاء فيها (يتشكك بعض الناس فى سير شهدائنا وابطالنا ، **فها** نحن نقدم لهم صفحة من صميم التاريخ القديم تؤيدها المخطوطات وتؤكدها المجموعات الأثرية المنتشرة فى كل مكان ، فليست الحقائق التاريخية اذن هى التى تعوزنا ، بل يعوزنا ما هو اسمى وأعظم ، نعم يعوزنا الإيمان ... الإيمان القوى الصادر من الأعماق فى معتقداتنا وفى أعمالنا وفى أقوالنا وفى حق أمتنا القبطية المجاهدة فى البعث والحياة والخلود) .

وفى عام **١٩٤٧** أصدرنا **أولى رسالاتنا بمناسبة عيد القيامة المجيد** ، وفى صدرها كلمة للمرحوم الأستاذ الدكتور عزيز سوريال عطية ، نيح الله نفسه ، جاء فيها : (وشعلة اليوم هى تلك الجماعة الصغيرة المتواضعة التى التفت حول اسم مارمينا العجايبى معتصمة بأساليب المحبة ونكران الذات والتضحية التى مات هو من أجلها منذ قرابة سبعة عشر قرناً تحت حكم دقلديانوس فى القرن الثالث الميلادى .

أن هذا الكتيب الذى بين يديك ايها القارىء الكريم إنما هو بداية وليس نهاية وأن هذه الجماعة سائرة ببركة الله على الدرب القويم ومن سار على الدرب وصل . وهى إذ تهيىء لك مزيجاً متناسقاً منسجماً من الدين والتاريخ والعلم والفلسفة إنما تبعث بذلك تراث آبائك واجدادك بعثاً سيملأ نفسك ثقة وفخراً واملاً اليس تاريخ القبط جزءاً من تاريخ مصر جمعاء ، وانى لا أرى واجبنا نحو هذه الدراسات الا جزءاً لا يتجزأ من واجبنا القومى نحو الوطن ونحو العلم والتاريخ) .

وتوالت الرسائل وانضم الى الجمعية بالاسهام فى كتابتها باقة من علمائنا ومؤرخينا ففى نيروز **١٩٤٧** أصدرت الجمعية **رسالة عن اللغة القبطية وضرورة العناية بها** اشترك فيها مع بعض العلماء الأجلاء المستشرق المتنيح القمص يعقوب مويزر .

وفى عام **١٩٤٨** أصدرت رسالتها الثالثة بعنوان (**الرهبنة القبطية**) ذلك الكتاب الذى كان له صدى بعيد فى الأوساط العلمية ، وأثر عميق بين القبط مما

حدا **ببعض** شبابنا المثقف أن يترك مناصبه ومكاسبه وأن يطرق ابواب الأديرة ، يقوده الرغبة الملحة فى خدمة الكنيسة .

وفى عام **١٩٥٠** أصدرت الجمعية رسالتها الرابعة (**صور من تاريخ القبط**)، **فقدمت** الجمعية فيها صور شخصيات صنعت التاريخ أختارتهم من معرض التاريخ القبطى فيما بين فجر التاريخ المسيحى والقرن التاسع عشر ، والتاريخ ليس سوى تراجم عظماء الرجال . وقد جاء فى مقدمة هذه الرسالة (اذا كان قد فاتنا حتى الآن أن نحتفى بهذه الشخصيات ونفى لهم بعض ما يحق لهم علينا فلا أقل من أن نصوغ هنا|للاحفاد من تاريخ الأجداد هذه الصور المجيدة لعلهم واجدون فيها ذكريات نافعة يتعظون بها ومثلاً عليا يهتدون بهديها والحانا شجية يترنمون بانشادها) .

وفى عام **١٩٥٤** أصدرت الجمعية الرسالة الخامسة (**صفحة من تاريخ القبط**) ، ولأجل أن يتبين القارىء ما كان من أثر لهذه الرسائل اورد هنا مقدمة هذه الرسالة بقلم رئيس الجمعية فى ذاك الوقت المرحوم الاستاذ بانوب حبشى إذ يقول فيها : (وفى خلال تلك المدة كانت قد ثبتت فى اذهان بعض المهتمين بالدراسات القبطية الذين اشتركوا معنا فى مسيرتنا ، وفى مقدمتهم الأستاذ الدكتور عزيز سوريال عطية ، فكرة انشاء معهد للدراسات القبطية ، اذ وجدت مؤلفاتنا ارضاً خصبة وجمهوراً متشوقاً الى المزيد من هذه الدراسات ، واستعداداً طيباً من شبابنا المتشوق الى المعرفة والثقافة) .

وهكذا كان من أهم آثار تلك الرسائل التنبيه الى ضرورة انشاء مثل هذا المعهد ويكتب الدكتور عزيز سوريال مرة اخرى عن رسائل هذه الجمعية فيقول (**انجزت هذه الجمعية منذ تأسيسها البحوث الحديثة فى الدراسات القبطية ، فأمتلأت بها صفحات عدة مجلدات تعتبر من أثمن ما يملكه الأقباط فى أيامنا**) .

ثم فى عام **١٩٦٢** ظهرت الرسالة السادسة للجمعية عن (**اديرة وادى النطرون**) فكانت المرجع الأول من نوعه باللغة العربية فى تاريخ هذه الأديرة بمناسبة مرور ستة عشر قرناً على تأسيس هذه الأديرة القبطية التى ذاع صيتها فى انحاء العالم منذ القرن الرابع ، وجذبت اليها القصاد رجالاً ونساءً من وراء البحار ، مْن مختلف الطبقات ، وعلى أختلاف ثقافتهم ليأخذوا عن (آباء البرية) مبادىء النسك والتعاليم الروحية . وجاء فى اهداء الكتاب (الى برية مكاريوس الشعلة الخالدة ... إلى الآباء الذين امدوا العالم بتراث روحى عريض ، كان له الأثر كل الأثر على تاريخ الكنيسة والحضارة والانسانية جميعا ... الى رهبان أديرة وادى النطرون ...) .

فى تلك الفترة كان الرب قد دبر لنا راعيا صالحا وأبا محباً وهو البابا كيرلس السادس البطريرك السادس عشر بعد المائة من باباوات الكرسى الاسكندرى (١٩٥٩ــ١٩٧١) وقد علم بأن الجمعية قد وضعت **مرجْعاً لقواعد اللغة القبطية** قام به نخبة من المشتغلين والمعنيين بهذه اللغة ، فطلب الأطلاع على أصوله ، ورأى قداسته شدة حاجة الكنيسة والدارسين لهذه اللغة اليه ، فأمر بطبعه على نفقته الخاصة ، فكانت لفتة كريمة من قداسته توج بها ذلك المجهود المضنى فى موضوع لم يطرقه أحد فى بلادنا بذلك الشمول والاتساع ، وقد اسدى الى العلم باخراج ذلك الكتاب الى عالم النور يداً لن تنسى أجيالاً وقروناً عديدة . كان ذلك عام **١٩٦٩** وكان الكتاب هو رسالة الجمعية **السابعة** . وفى عام ١٩٧٠ وصلنا طرس بركة من البابا كيرلس (انظر صورة ٢) بمناسبة احتفال الجمعية باليوبيل الفضى على تسجيلها .

وفى عام **١٩٧٨** أصدرت الجمعية رسالتها الثامنة بعنوان (**القديس اثناسيوس الرسولى ــ معلم الكنيسة ــ بابا الاسكندرية العشرون**) وجاء فى كلمة الاهداء : (الى روح أسطع امجاد كنيسة الاسكندرية ... وأعظم معلمى الكنيسة ... والى أبناء القبط) . فجاءت الرسالة لتقدم البابا أثناسيوس وجهاده والذى بشخصيته القوية الجبارة سيطر على تاريخ القرن الرابع كله .

فى عام **١٩٨١** أحتفل العالم المسيحى الغربى بالذكرى المئوية الخامسة عشر للقديس بندكت (بنوا) وأشادت وسائل الاعلام بقانون القديس بندكت وفضله على الجماعات الرهبانية من ابنائها الذين كان لهم سهم وافر فى حضارة اوربا . ولكن فى حقيقة الأمر أن هذا القانون الذى يفاخر به العالم الآن كأساس لهذا النشاط الحضارى إنما هو مأخوذ عن القانون الدقيق الذى تفتقت عنه عبقرية الناسك المصرى القديس باخوميوس الملقب بأب الشركة . فبادرت الجمعية باصدار رسالتها التاسعة بعنوان (**عبقرية الانبا باخوم وأثرها على الرهبنة والحضارة الغربية**) لتظهر فضل تلك العبقرية المصرية على تنظيم الحركة الرهبانية فى العالم وعلى نشاطها الحضارى .

وفى سبتمبر **١٩٨٣** عندما أوشك القرن السابع عشر القبطى على الانتهاء بادرت جمعية مارمينا وأصدرت رسالتها العاشرة بعنوان (**رسالة مارمينا فى عيد النيروز المجيد**) وتناولت الرسالة قسماً عن اللغة القبطية وآدابها ثم قسم ثان عن التراث المجيد للكنيسة القبطية وقسم ثان عن صورة مشرقة من تاريخ القبط .

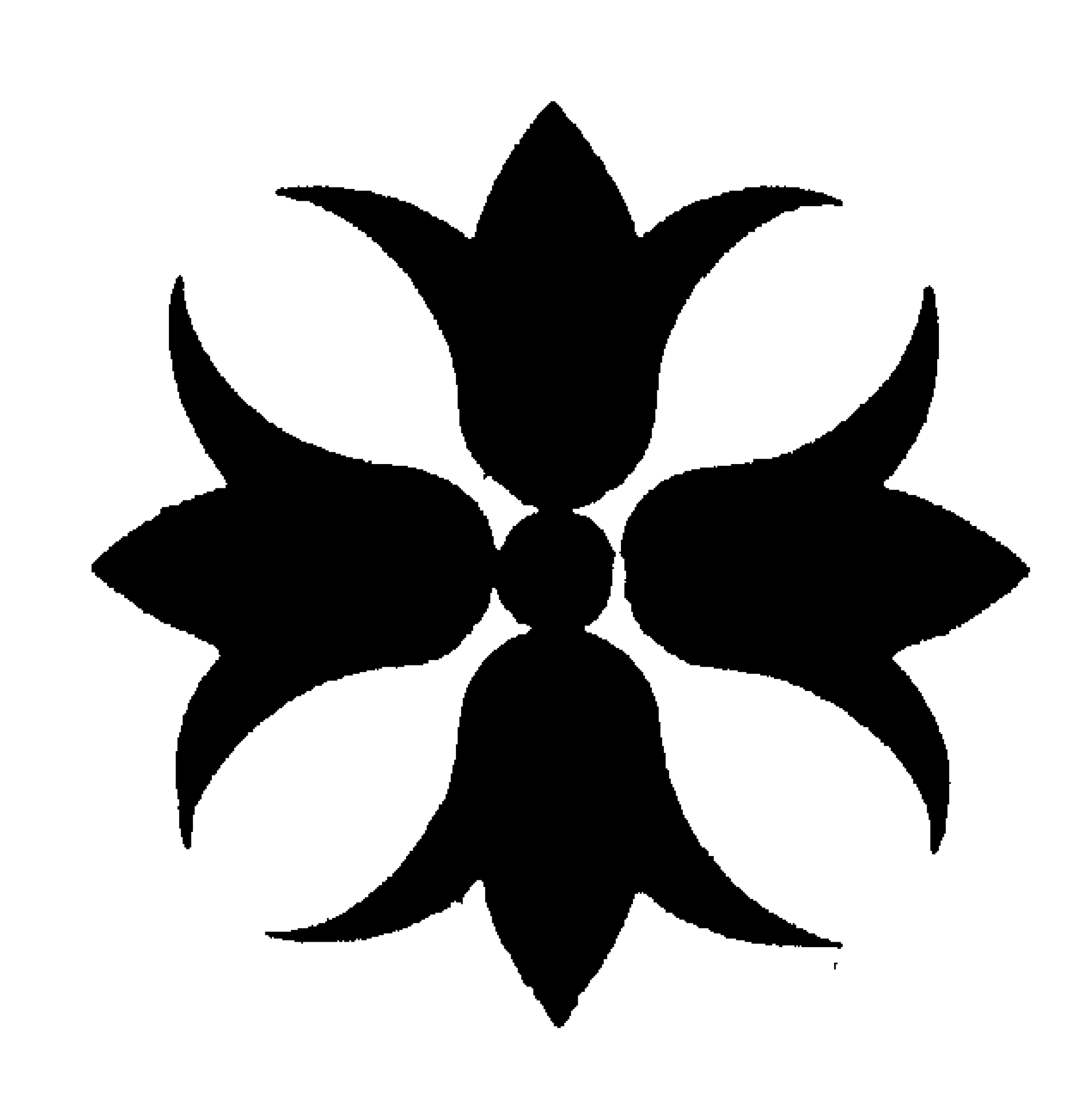
وفى عام **١٩٨٦** رأت الجمعية ضرورة احياء ذكرى العالم الكنسى والمؤرخ العظيم المتنيح الاستاذ يسى عبد المسيح (أمين مكتبة المتحف القبطى سابقاً) والذى عمل معنا بالجمعية طوال رسالتها التاريخية فبدأت فى اصدار سلسلتها عن الدراسات القبطية والتى سبق ونشرها الاستاذ يسى فى دوريات وكتب مختلفة فكان الجزء الأول منها فى (**طقوس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وعقائدها**) .

وها اليوم تواصل الجمعية مسيرتها فى اصدار رسالتها الثانية عشر لتدعيم مكتبة الدراسات القبطية فتصدر الجزء الثانى من (صور من تاريخ القبط) استكمالاً للجزء الأول الذى صدر عام ١٩٥٠ فى رسالتها الرابعة .

هذه هى الجمعية التى تحتفل فى هذه الأيام بعيدها الخامس والأربعين ماضية فى رسالتها بهدوء ومثابرة عسى ان يكون فى تاريخها ما يحفز شبابنا على الاهتمام بتاريخ الكنيسة المصرية ، اذ مازال الكثير من هذا التاريخ ومن تاريخ القبط عامة سواء

منه **البعيد** أم الحديث فى حاجة الى دراسة تنويرا للاذهان واستخلاصاً للعبر ليكون لنا مستقبل جدير بماضينا .

وبهذه المناسبة نرسل تحية الى ارواح العمالقة الذين آزرونا فى عملنا طوال **مسيرتنا** ونذكر منهم **المتنيحون:** يسى عبد المسيح ، الدكتور توجو مينا ، الدكتور جورجى صبحى ، الدكتور مراد كامل ، المستشرق القمص يعقوب مويزر ، الدكتور لبيب حبشى ، الدكتور عزيز سوريال عطية ، الاستاذ بانوب حبشى ، الاستاذ ملاك ميخائيل ، الاستاذ بديع عبد الملك والذى ساهم بفنه الرفيع فى تنسيق اغلفة الرسالات التى أصدرناها والأهتمام بتنسيقها .



جمعية مارمينا العجايبي
مركزها المؤقت : كنيسة السيدة العذراء
بمحرم بك بالاسكندرية



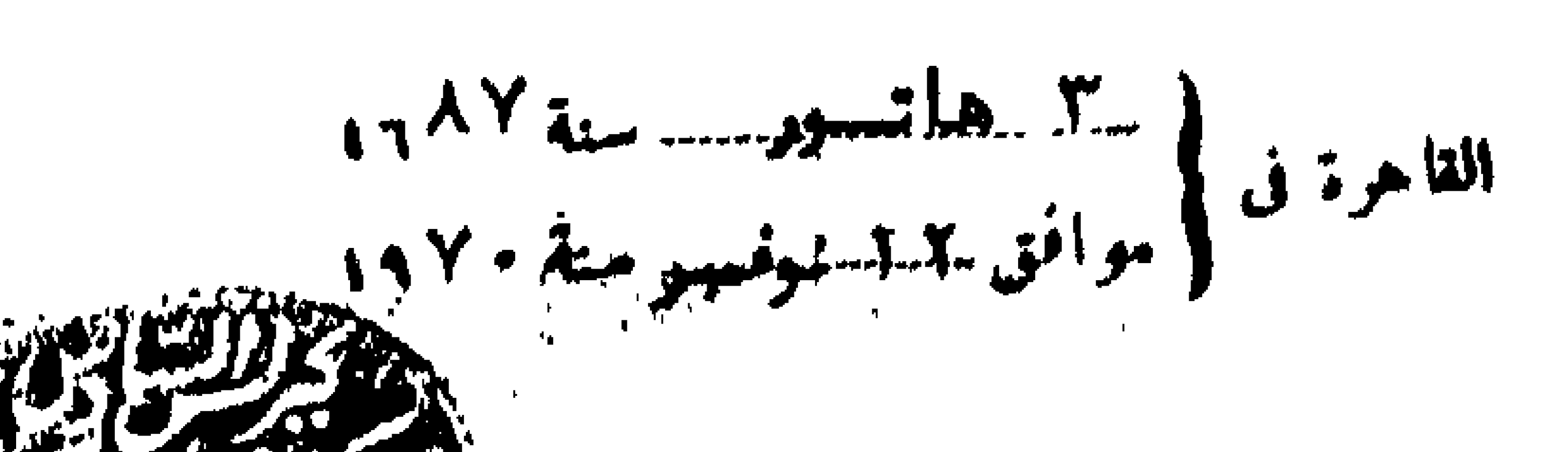
استشهاد مار مينا العجايبي
نقلا عن صندوق من العاج وجد بالاسكندرية
ومحفوظ الآن بالمتحف البريطاني

يرى القديس الى اليسار راكعا على ركبته اليسرى وقد أمسك الجلاد بشعره ، وهم بقطع رأسه ، ويرفرف ملاك الرب خلف القديس استعداداً لتلقى روحه الطاهرة

هدية من الجمعية
بمناسبة احتفالها بذكرى تكريس
كنيسته بمريوط
٢٢ يونيو سنة ١٩٤٦

صورة (١) لغلاف النشرة الأولى التي أصدرتها الجمعية
في عيد تكريس كنيسة القديس مينا العجايبي بمريوط





الابن المبارك الدكتور منير شكرى رئيس جمعية مارمينا العجايبى باسكندرية

بارکه الرب

بعد منحكم البركات وامدادكم بصالح الدعاء بنعمته تعالى تكونون وجميع ابنائنا المباركين فى سلام الله ورعايته

تلقينا بالارتياح خطاب بنوتكم المؤرخ فى ١٩٧٠/١١/٢ المتضمن اعتزام الجمعية بمشيئة الله الاحتفال بيوبيلها الفضى بمناسبة خمسة وعشرون عاما على تسجيلها فى عشية عيد شفيعها الشهيد العظيم مارمينا العجايبى يوم الثلاثاء ٢٤ نوفمبر الحالى وذلك عقب صلاة عشية العيد بكنيسة الشهيد مارمينا بفلمنج واننا اذ يهمنا دائما تشجيع اى عمل يكون فيه رسالة لخير الكنيسة علميا او تاريخيا ندعو الله أن يوفقكم ويساعدكم ويعضدكم فى كل عمل لخير الكنيسة ومنفعتها

ونعمة الرب تشملكم ولعظمته تعالى الشكر دائما ...

صورة (٢) : طرس البركة الذى ارسله قداسة البابا كيرلس السادس لرئيس الجمعية بمناسبة أحتفال الجمعية باليوبيل الفضى على تسجيلها .

تمهيد

تاريخ الكنيسة ... لماذا ؟!

موريس خليفه زخارى

إهتموا بالتـــاريخ ...
فبقدر ما فيه الماضى ... فيه المستقبل ،
وبقدر ما فيه التعليم والمعرفة ...
فيه التشجيع والأرشاد ...

تعد **المعرفة التاريخية** الواعية ، **من أهم المكونات الثقافية للأنسان** . فإذا قلنا أن المثقف هو من عرف ماضيه ، ووعى حاضره ، وصارت له الرؤية الواضحة للمستقبل ، فإننا نستطيع أن نؤكد بأنه لن يتوفر مثل هذا لإنسان إلا إذا كان التاريخ مكوِّناً أساسياً فى ثقافته ... هذا بصفة عامة .

ومن المؤكد أن تاريخ الكنيسة هو ميدان الثقافة الكنسية . فمجال تاريخ الكنيسة متسع واليه ينتهى الكثير من فروع المعرفة الكنسية ، فتاريخ إنتشار المسيحية فى العالم فرع من فروع تاريخ الكنيسة ، وكذلك تاريخ النظم الكنسية والممارسات ... والطقوس والترتيبات الخاصة بالعبادة الجماهيرية ، وتاريخ الإضطهادات ، والحركات الرهبانية ، وسير القديسين ورجال الكنيسة من الآباء البطاركة ومعلمى الكنيسة كلها فروع من تاريخ الكنيسة ، كما أن تطور الفكر العقائدى فى المسيحية والمجامع وقراراتها ، وتطور علم اللاهوت والعقيدة الكنسية ، وتاريخ البدع والهرطقاته وانتصار الكنيسة عليها ، كلها فروع لها أهميتها فى تاريخ الكنيسة ، كذلك علاقة الكنيسة بالدولة ، وتطور القوانين الكنسية ... الخ ، هذه كلها فروع من تاريخ الكنيسة . وهو ما يؤكد أهمية التاريخ كمكوِّن أساسى فى الثقافة الكنسية .

وبرغم هذه الأهمية الكبيرة لتاريخ الكنيسة ، فإن الأقباط ــ للأسف ــ فى غالبيتهم يجهلون تاريخ كنيستهم ، وأن ما يعرفون منه ما هو إلا مجموعة حوادث

قليلة ومتفرقة ، وبعض حكايات عن شخصيات معدودة تذكر فى مجال الموعظة أو فى المناسبات ، ولكن يبدو أن جهلنا بتاريخ الكنيسة يرجع أساساً إلى عدم تقديرنا لأهمية هذا التاريخ فى تكوين ثقافتنا وبالتالى تفكيرنا وشخصيتنا ، إلى جانب أهميته وأثره على حاضر الكنيسة ومستقبلها . يقول الأنبا يوأنس ــ **أسقف الغربية** ــ فى كتابه تاريخ الكنيسة المسيحية فى عصر الرسل ، مبرهناً على أهمية التاريخ . « إن تاريخ الكنيسة أفضل تفسير للمسيحية ذاتها .. كما أنه يستمد قيمته وأهميته بأعتباره المدخل لحالة المسيحية الآن ، والمرشد للعمل الناجح فى كرمها ... فالحاضر هو ثمر الماضى وأساس المستقبل » .

تاريخ الكنيسة فعل مستمر :

ان التاريخ بصفة عامة هو ذاكرة الشعوب ، والشعب الذى ينسى تاريخه يفقد ذاكرته ، وفقدان الذاكرة ليس نسيان للماضى فحسب بل هو ضياع للمستقبل أيضا ، لأن حركة التاريخ تبدأ من المستقبل وليس من الماضى . **فعندما** نسأل أنفسنا **ماذا نريد للكنيسة أن تكون ؟! نبدأ من التاريخ** لنتعلم من خبراته ودروسه ونعرف « كم صنع الرب بنا » ، حتى يكون المستقبل له أصالة الماضى . وتاريخ الكنيسة هو ذاكرتها وليس ماضيها ، لأن الماضى فعل وأنتهى ، أما تاريخ الكنيسة ففعل مستمر ، وسوف يستمر حسب وعد الله ، ويرى الآباء « ان تاريخ الكنيسة ليس احداثا ماضية ميته نرثى لها أو نفخر بها ، ولا تسجيلاً لحاضر بعد قليل يصير ماضياً منتهياً ، وإنما تاريخ الكنيسة حاضر على الدوام فى حياة كل عضو خلال الكنيسة ... » (مقدمات فى علم الباترولوجى ــ القس تادرس يعقوب ١٩٧٤) .

وتاريخ الكنيسة فى حقيقته هو تاريخ بشر يسلكون فى العالم ولكنهم شاخصون إلى السماء ، يعيشون وحدة إيمانية رأسها المسيح وجسدها سائر الأعضاء . **هدفها الكرازة بملكوت المسيح بأعلان « أن الله الكل فى الكل »** (١ كو ١٥ : ٢٨) .

ولذلك فتاريخ الكنيسة فى أحد نواحيه ما هو إلا تسجيلاً **للمحاولات** التى تسعى لتحقيق هذا الهدف ، كما فى سفر أعمال الرسل ، والذى يعد تاريخ الكنيسة امتداداً له . ومن الناحية الأخرى هو **تسجيل تحقيق وعود الله لهذه الجماعة** (الكنيسة) كوعده أن « أبواب الجحيم لن تقوى عليها » (مت ١٦ : ١٨) . وبهذا يكون تاريخ الكنيسة هو تسجيل لمسيرة الكنيسة فى هذا العالم ، فيه الوصية .. ومحاولات تنفيذها ، وفيه الوعود .. وتحققها . فيه الجذور وفيه البذور .. فيه المعارف والخبرات التى تتيح لنا انتقاء البذار الجيدة لنجنى منها أفضل الثمار الممكنة للمستقبل .

تاريخ الكنيسة جزء من تاريخ الوطن :

تاريخ الكنيسة القبطية هو جزء من تاريخ الوطن ومن العسير دراسته بدون الإلمام بتاريخ مصر منذ عصورها الأولى مروراً بكل العصور حتى وقتنا هذا ، لأنه بدون ذلك يكون من الصعب أن ندرك عظمة الدور التاريخى للكنيسة المصرية ، كما أنه من الصعب تقييم كثير من أحداث التاريخ الكنسى وهى خارج الأطار العام لتاريخ مصر ، ومن ناحية أخرى فإن تاريخ مصر العام عندما يختفى من سياقه تاريخ الكنيسة المصرية يبدو للقارئ المدقق ناقصاً مبتوراً وقد اختفى منه رافداً من روافده الهامة .

كما أن معرفة تاريخ الكنيسة داخل أطار تاريخ مصر له فوائد بالنسبة لقارىء تاريخ الكنيسة وبالنسبة لقارىء تاريخ مصر . اما بالنسبة لقارىء تاريخ الكنيسة فإن قراءته داخل الأطار العام لها أهميتها الكبيرة فى توضيح جوانب الأحداث — فمثلا قد يقرأ — **قارىء** تاريخ الكنيسة أنه فى وقت ما .. وقع اضطهاد على الأقباط فى حين أنه عندما يقرأ عن هذه الأمور فى إطارها العام يجد أن الأضطهاد الذى وقع فى هذا الوقت شمل الأقباط وغيرهم .. وبالنسبة لقارىء تاريخ مصر العام فقد يقرأ القارىء عن شخصية قبطية تصرفت تصرفاً مستنكراً أو اتخذت موقفاً مرفوضاً ولا يعرف أن تاريخ الكنيسة قد أكد أن الأقباط كان موقفهم

الرفض والأستنكار لهذه الشخصية فى حين أن إغفال ذكر مثل هده الحقيقة قد يوحى بغير ذلك .

ضرورة الدراسة الواعية :

وإن كان علينا أن نهتم بتاريخ الكنيسة ونتعامل معه بوعى وادراك ، فإن هذه ليست مسئولية فرد أو مجموعة أفراد ، انها مسئولية جماعية ، مسئولية القارىء العادى كما أنها مسئولية الكاهن .. والخادم .. وأيضا مسئولية المشتغلون بالتاريخ الكنسى وكتابته والمشتغلون بكتابة تاريخ مصر وتحقيقه .

وعلى الجميع أن يعرفوا من البداية أن تاريخ الكنيسة ليس قصصاً أو حكايات تكتب أو تقرأ للتسلية . فيكتب فيه الكاتب ما يراه جميلاً وعزيزاً ويغفل ما يراه غير ذلك ، ويقرأ القارىء ما يراه مسلياً وجذاباً ويترك ما يراه غير ذلك !!

★ ★ ★

كذلك علينا جميعاً أن ندرك ، أن قارىء تاريخ الكنيسة اذا كان يريد أن يعرف ويتعلم يجب أن لا تفارقه كلمات : (لماذا ؟) و (كيف ؟) و (لذلك) ، لأن الدارس الواعى للتاريخ عليه ألا يقف عند معرفة ما حدث ، بل عليه أن يعرف ما قبل .. وما بعد ، ليعرف الأسباب التى أدت إلى الأحداث .. وكذلك النتائج التي انتهت إليها ، لأنه ليس هناك شىء ضرورى لقارىء التاريخ أكثر من أدراك الأسباب ومعرفة النتائج . والعلاقة بين الأحداث . هذا إذا كان يريد أن يتعلم .. ويعرف .

فالتاريخ الكنسى جدير بالدراسة الواعية فهو إلى جانب أنه ميدان الثقافة الكنسية فهو أيضا مرجع أساسى فى أمور كثيرة ، فإذا هوجمت الكنيسة فى عقائدها لابد أن نرجع إلى التاريخ لنعرف ماذا قال الآباء ؟ وماذا أقرت المجامع ؟ وما علاقة الهجوم الجديد بالبدع القديمة ؟ وإذا هوجمت الكنيسة فى أسرارها لابد من العودة إلى التاريخ ، وإذا هوجمت الكنيسة فى وطنيتها .. نرجع إلى التاريخ . ولقد كان الرجوع إلى التاريخ عند الآباء ركناً أساسيا فى الدفاع عن الإيمان

ومقاومة البدع والهرطقات كما فعل القديس الأنبا أثناسيوس فى كتابه « تاريخ الأريوسية » الذى كتب ليبين ، مصادر الأريوسية وعلاقتها بالهرطقات والبدع التى سبقتها .

ومن هنا فعلى قارىء التاريخ أن يدرس بوعى وفهم لأنه يتعامل مع حقائق أساسية ، وأيضا عليه أن يعلم أن معرفته بالتاريخ ضرورة حيوية لكى يعيش كنيسته ، فدراسة التاريخ أساسية للحياة المسيحية نفسها ، فالأنسان يتعلم من التاريخ مباشرة لأنه يقدم لنا الكثير من صور الوجود والخبرات الأنسانية والكنسية التى لا نستطيع معرفتها فى حياتنا الخاصة ، فالتاريخ مصدر الأختبار فى حياة الكنيسة ومستودع عمل الروح القدس بها .

لهذا فعلى الآباء الكهنة تقع مسئولية كبيرة تجاه تاريخ الكنيسة ، فعليهم أن تتضمن رسالتهم نشر الوعى التاريخى وتعميق الأحساس بتاريخ الكنيسة ، ويعلموا الشعب كيفية التعامل مع الحقائق التاريخية . .

كما أن خدام التربية الكنسية والذين يقومون بخدمة الوعظ فى أجتماعاتنا عليهم أن يقدموا التاريخ ليس كمجرد قصص وحكايات عن أحداث مضت تقال أثناء العظة على سبيل طرد الملل .. أو فى المناسبات لنستمتع بها أو حتى نفخر بها ، بل عليهم أن يقدموا التاريخ **كَمُعَلِمْ** نرجع إليه ، وميدان كبير للثقافة نسعى إليه ، لتنمية خبراتنا وتعميق أحساسنا ، ولنأخذ أساليب جديدة لتفكيرنا وعملنا على المستوى الشخصى أو مستوى الكنيسة كلها .

كلمة لمن يكتبون تاريخ الكنيسة :

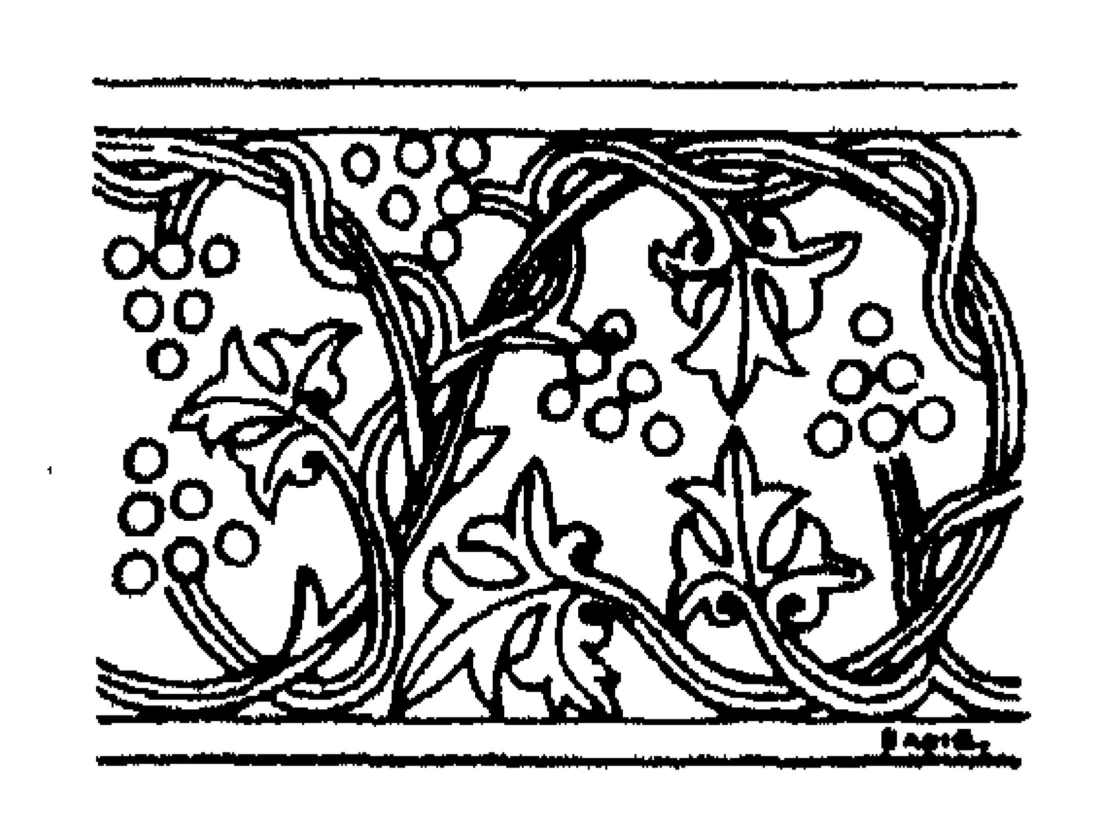
كما أن لنا كلمة للأساتذة الذين يكتبون فى تاريخ الكنيسة بأنه قد آن الآوان أن **يظهر دور الشعب** ــ دور الأنسان العادى فى تاريخ الكنيسة ــ لأن الصانع الحقيقى للتاريخ ــ أى تاريخ ــ هو الأنسان العادى فى مجموعه . وربما يكون من أبرز الملاحظات على تاريخ الكنيسة أنه فى كثير من مراحله هو عبارة عن تاريخ الذين رأسوا الكنيسة وليس تاريخ الكنيسة نفسها ــ كجماعة مؤمنين ــ ولهذا

فإننا كثيراً ما نجد أن تاريخ الكنيسة لم يعد امتداداً طبيعياً لسفر أعمال الرسل ، وهو ما يجب أن يكون عليه . وليس هذا أعتراضاً على أن يُكتبْ تاريخ الكنيسة منسوباً الى الآباء البطاركة ولكن بشرط ألا يغفل دور الشعب الذى كثيراً ما **أُهْمل** دوره الحقيقى فى قيام الكنيسة والحفاظ عليها وعلى مصريتها .. وعقيدتها ، لأن الشعب فى تاريخ الكنيسة كثيراً ما يختفى طويلاً .. وإذ ظهر بقى قليلاً مع أن الشعب فى الكنيسة التى هى جماعة المؤمنين .. هو صفوف الشهداء .. وجموع الرهبان .. والعديد من المجهولين .. والأنسان العادى فى مجموعة .. هذا الانسان الذى **دائماً** يقف ويدافع حتى الدم من أجل الكنيسة وإيمانها وعقائدها .. وبطاركتها الذين إختارهم رؤساء روحيون له .. ورموزاً وقورة للكنيسة .

أما بالنسبة للمشتغلين بكتابة تاريخ مصر وتحقيقه فهم يعرفون ما هى مسئوليتهم فى هذا المجال .

★ ★ ★

وتبقى كلمة ... وهى أننا عندنا ننبه إلى أهمية التاريخ البالغة والضرورية ، لا ندعوا إلى ذلك على سبيل الحنين إلى الماضى ، لأننا ونحن ندعوا إلى ذلك نعرف جيداً أن الماضى ليس كله عصوراً ذهبية ، ولا أن أشخاصه كانوا معصومين من الخطأ ، أو أن أحداثه كلها أمجاداً لن تتكرر .. أننا فقط ندعوا إلى التعَلم من التاريخ لا أن نحلم به لأننا لو فعلنا نخطىء ونضع مستقبلنا خلفنا بدلاً من أن نضعه أمامنا ، وهذا ضد طبيعة الأشياء ، بل ضد التاريخ ذاته .. كما أننا نؤمن أن « الله » هو هو أمس واليوم وإلى الأبد .. (عب ١٣ : ٨) .



الأب الفيلسـوف
اكليمنضس الاسكندرى

(١٥٠ م ــ ٢١٥ م)

موريس خليفه زخارى

(١)[*]

عندما إستقر المقام باكليمنضس فى مدينة الإسكندرية ..، كانت الإسكندرية قد بلغت من عمرها المديد الخمسمائة وبضعة أعوام ، وكانت كنيستها قد تجاوزت المائة عام وقليلاً منذ تأسيسها ، وكذلك مدرستها اللاهوتية ..،

وكان تيطس فلافيوس إكليمنضس ، فى الثلاثين من عمره تقريباً وكان الزمن فى حوالى آوائل الربع الأخير من القرن الثانى الميلادى .

كانت الإسكندرية فى ذلك الوقت ، مدينة علم .. وحكمة ، وأدب وفلسفة ، ودين وزهد ، وتأمل .. وعبادة . كما أنها كانت مدينة جمال .. وفن ، ولهو وعبث ، وثراء وترف . إلى جانب أنها كانت مدينة تجارة رائجة ، وصناعة متقدمة ، وحركة لا تهدأ . وكانت شوارعها الواسعة وميادينها الفسيحة تموج بأخلاط من الأجناس والكثير من البشر . وكانت معابدها المنتشرة فى أرجائها تدعو للعديد من الآلهة ، كما كانت مدارسها المشهورة تعرض لمختلف العقائد الدينية والمذاهب الفلسفية الشائعة فى ذلك الزمان ..

لقد كانت الإسكندرية مدينة عظيمة المستوى ، عالمية الهوية ، رفيعة الشأن . فهى إمتداد فى الزمان للمدينة التى أنشأها الأسكندر الأكبر فى العام ٣٣١ قبل

---

* رأينا أن نقدم بهذا الفصل حتى يتمكن القارىء من معرفة الشخصية محل البحث فى ضوء الخلفية التى سبقتها والأحداث التى عاصرتها ، حتى تكون رؤيته لها أعمق ، ومعرفته بها أشمل . كما أن الملم القارىء بتاريخ مدينة الإسكندرية ومدرستها اللاهوتيه ، يتيح له فهم الكثير من أحداث وشخصيات التاريخ الكنسى على صورة أفضل .

الميلاد ، والتى عكف خلفاؤه من البطالمة من بعده . على جعلها مدينة لا تضارعها مدينة أخرى فى زمانها . فنمت وتفوقت فى الحضارة .. والمعرفة ، وميزتها الرفعة فى كل مالها ، **ففاقت** جميع المدن ، سواء فى الشرق أو الغرب ، من العالم القديم .

وحتى بعد أن خضعت مصر للرومان فى العام ٣٠ ميلادية ، وصارت بذلك إحدى ولايات الأمبراطورية الرومانية ، وأصبحت الإسكندرية مقراً للوالى الرومانى ؛ إحتفظت الإسكندرية بعظمتها فى أغلب نواحيها ، وبقى لها الكثير من مجدها وشهرتها . وظلت هى المدينة التى يقصدها الفلاسفة والعلماء ، ويسعى اليها طلاب العلم ، والشهرة ، والمال .. من كل بلاد الدنيا .

وعندما جاءتها بشارة المسيح بكرازة القديس مرقس فى العام ٦١ ميلادية ، كانت الإسكندرية قوتها رومانية ، وعقليتها يونانية ، وروحها حائرة تحلق باحثة عن الخلاص فى ديانات عديدة ، ومذاهب مختلفة ، وفلسفات شتى . يملؤها الجدل والنقاش ، والهجوم والدفاع ، والرفض والإختيار . وإن كانت لا تخلو من نفوس فرغت للتأمل الهادىء ، والتفكير العميق ، والتفلسف الصادق الأصيل ؛ بحثا عن الحقيقة المرجوة والخلاص المنشود . فما إن أقبلت عليها التعاليم المسيحية حتى ذاعت فيها ، وإعتنقها كثيرون . وما مرت سنوات حتى انتشرت فى ارجائها ، واستقرت فى وجدانها ، وإستراح لها ضميرها ، وصارت لها قوة للخلاص .

وضمت الإسكندرية الدين الجديد بين حناياها ، تستمد منه القوة ، وتدافع عنه ، وتعمل على نشره صحيحاً مستقيما كما تسلمته ..، وتقوم على تأصيله .. وشرحه .. وتفسيره . وفى سبيل ذلك قدم مسيحيو الإسكندرية الكثير من العلماء .. والغالى من دماء الشهداء ، والمذهل من فضائل القديسين ، فأذيع إسمهم فى كل المسكونة ، وتخلد ذكرهم على مر الزمن ، وتمجد فعلهم فى كل الأجيال ، تمثلهم فى ذلك كله كنيسة الإسكندرية وبطاركتها خلفاء القديس مرقس ، يساندهم فلاسفة وعلماء مدرسة الإسكندرية اللاهوتية .

ومدرسة الإسكندرية اللاهوتية ، تعد المدرسة المسيحية الأولى ، ويرجع تاريخ إنشائها إلى العصر الرسولى الأول ، كما شهد بذلك المؤرخون الأوائل ، أمثال يوسابيوس القيصرى والقديس جيروم ، وأن مؤسسها هو القديس مرقس الإنجيلى ، الذى أدرك بحكمته أنه لا سبيل إلى نشر المسيحية وتدعيم تعاليمها ، إلا إذا أنشأ مدرسة لاهوتية تقوم بشرح التعليم المسيحى ، وتثبيته فى أذهان المؤمنين[1] . وأيضا لمواجهة المدارس الفلسفية والعقائدية المنتشرة فى مدينة الإسكندرية ، والتى كثيراً ما كانت تقوم بالهجوم على عقائد الكنيسة وتعاليمها .

ولقد كان لأساتذة المدرسة اللاهوتية الأثر العميق فى المسيحية ، ليس فى الإسكندرية وحدها ، بل فى كل بلاد العالم . فقد كانوا رجالاً لامعين فى ميادين مختلفة ومجالات متعددة ، فكانوا المؤمنين الصادقين ، والكارزين المجاهدين ، والمدافعين الأشداء ، والمعلمين الحاذقين للكتب المقدسة وللعقائد الإيمانية ، كما أنهم كانوا الأمناء فى التسليم الرسولى . وكانوا اللاهوتيين المقتدرين . وإلى جانب هذا كله كانوا القدوة العالية فى التقوى والزهد . لقد كانت فى هؤلاء الرجال قوة هائلة تنبع من داخلهم ليست فى حاجة إلى برهان ، وهذه إحدى أهم علامات القديس والمجاهد الحقيقى . ويكفى أن نذكر أسماء بعض أساتذة وتلاميذ مدرسة الإسكندرية اللاهوتية أمثال الفيلسوف بانتينوس ، والفيلسوف اكليمنضس الإسكندرى ، والعلامة اوريجانوس ، والبابا ديونسيوس الإسكندرى ، وديديموس الضرير ، والبابا بطرس خاتم الشهداء ، والأنبا أثناسيوس الرسولى ، والانبا كيرلس عمود الدين ... الخ . نقول يكفى أن نذكر أمثال هؤلاء الرجال ، حتى تتأكد لنا حقيقة ، أن أساتذة وتلاميذ مدرسة الإسكندرية اللاهوتية كانوا عقل العالم المسيحى وقلبه فى زمانهم وما بعدهم من أزمان طويلة . فبفضل هؤلاء الرجال ومدرستهم أصبحت الإسكندرية فى عصرها المسيحى ، من حيث خدماتها للفكر والتعليم ، لا تقل تأثيراً عن الإسكندرية فى عصرها اليونانى أو الإسكندرية فى **عصرها الرومانى ، حتى أنها اعتبرت فى ذلك الوقت قاعدة التعليم المسيحى فى العالم وقوته الفكرية وقيادته الروحية .**

والتاريخ يسجل لنا أنه بعد قيام القديس مرقس بإنشاء المدرسة اللاهوتية بالإسكندرية ، أسند رياستها إلى خلفه الفديس **انيانوس** الذى ولى إدارتها للقديس يسطس ، الذى عاصر البطاركة الأربعة الذين خلفوا **انيانوس** ، فلما إعتلى يسطس كرسى مارمرقس وصار السادس فى عداد البطاركة فى العام ١٢١ ميلادية تولى اومانيوس من بعده إدارة المدرسة ، ثم بعدما أرتقى اومانيوس الكرسى المرقسى وهو السابع فى عداد البطاركة ، تولى بعده إدارة المدرسة اللاهوتية القديس ماركيانوس الذى أصبح فيما بعد البطريرك الثامن على الكرسى المرقسى فى العام ١٤٤ ميلادية .

وإن فى تعاقب عمداء مدرسة الإسكندرية اللاهوتية على الكرسى المرقسى ، دليل قوى على تقدير الأقباط فى ذلك الوقت للعلم والعلماء ، وبرهان على إدراكهم لأهمية مواجهة الفكر بالفكر ، ومقابلة الحجة بالحجة ، ومناظرة الفلسفة بالفلسفة ، فى مدينة كانت تموج بكبار الفلاسفة وعباقرة المفكرين من وثنيين ويهود ، كما كان صراع المذاهب والديانات والفلسفات فيها على أشد ما يكون الصراع .

وبعد الرعيل الأول من العمداء البطاركة ، تقلد إدارة المدرسة اللاهوتية بالإسكندرية الفيلسوف أثيناغوراس ؛ والذى كان يرأس أحد كراسى التعليم فى مدرسة الإسكندرية الوثنية الكبرى ، ذات الشهرة ، والتى أنشأها بطليموس سوتير فى العام ٣٢٣ قبل الميلاد . وكان أثيناغوراس وثنياً أفلاطونياً ، ثم إعتنق المسيحية بعد تضاد لها ، وأصبح من كبار المدافعين عنها وله فى ذلك دفاعه المشهور والمسمى (التماس من الفيلسوف المسيحى اثيناغوراس الأثينى ، لأجل المسيحيين) والذى رفعه للامبراطورين الفيلسوفين مرقس أوريليوس وإبنه وشريكه فى الحكم كومودس وذلك فى العام ١٧٧ ميلادية . ولقد كانت فترة تولى اثيناغوراس إدارة المدرسة اللاهوتية بالإسكندرية بداية تطور فى مكانة المدرسة وشهرتها .

أما بعد ذلك ، وفى أيام البابا ديمتريوس الكرام (١٩١ــ٢٢٤) ، فقد تعاقبت على إدارة المدرسة اللاهوتية ثلاثة من كبار معلمى الكنيسة وأبرز فلاسفة المسيحية وهم على التوالى : بانتينوس واكليمنضس (موضوع بحثنا) واريجانوس ، وقد جاء بعدهم آخرون كانوا نجوماً مضيئة ليس فى تاريخ كنيسة الإسكندرية فحسب ، بل فى الكنيسة الجامعة كلها ، إذ أن المدرسة بقيت قائمة وإستمرت بعطائها حتى أواخر القرن الخامس الميلادى ، ثم سلمت القيادة الفكرية والتعليمية للأديرة ورهبانها ، وخاصة دير القديس أبو مقار فى برية وادى النطرون[٢] .

أما عن القديس بانتينوس الفيلسوف ، فقد كان فى بدايته رواقياً مشهوراً إعتنق المسيحية على يد اثيناغوراس ، وعمل معه بالمدرسة اللاهوتية ، وتولى ادارتها من بعده . ويعد بانتينوس فيلسوفاً ومعلماً ، بل من أكثر معلمى عصره قدرة وسمواً . وقد نال شهرة فائقة فى شرح أسفار الكتاب المقدس حتى لقبه معاصروه « مفسر كلمة الله »[٣] ، وإليه ينسب إدخال الفلسفة والعلوم الدنيوية الى المدرسة اللاهوتية ، وذلك حتى يكسب المثقفين الوثنيين للمسيحية . كما أن بانتينوس له دور كبير فى تطوير الأبجدية القبطية ، مستخدماً الحروف اليونانية مضيفاً اليها سبعة حروف من اللهجة الديموطيقية لإستيفاء حاجتها من الأصوات المصرية ، وهكذا ولدت اللغة القبطية . ومن الشائع أن بانتينوس وتلميذه اكليمنضس قد تعاونا فى ترجمة الإنجيل إلى اللغة القبطية من اللغة اليونانية التى كانت سائدة فى الإسكندرية فى ذلك الحين . ولعل هذه الترجمة من الأسباب التى جعلت **المسيحية تنتشر بين المصريين جميعاً كعقيدة شعبية**[٤] . وقد أوفده البطريرك الأنبا ديمتريوس الكرام للكرازة فى الهند ، وعند رجوعه من الهند قيل أنه كرز فى أثيوبيا وبلاد العرب واليمن ، كما قيل إنه وجد فى الهند نسخة بخط القديس متى البشير من إنجيله ، كان قد أحضرها برثولماوس الرسول معه عند بشارته للهند ، وقد أحضرها بانتينوس معه عند عودته . وللأسف لم يصلنا من كتابات هذا المعلم الكبير سوى شذرات وردت فى كتابات تلميذه إكليمنضس الإسكندرى .

(٢)

(عُرف باكليمنضس الإسكندرى Clement of Alexandria ، جال كثيراً فى سبيل البحث والمعرفة سعيا وراء الحقيقة . ثم إستقر فى مدينة الإسكندرية ، وبقى بها ما يزيد عن العشرين عاماً ، مُتتلمذاً على فلاسفتها ، مُعلماً فى مدرستها اللاهوتية ، مُصنفاً كتاباته الفلسفية واللاهوتية والتعليمية . وقد سيم كاهنا على مدينة الإسكندرية ، وتولى إدارة مدرستها اللاهوتية . وأمام أحد الأضطهادات ترك الإسكندرية والتجأ إلى فلسطين وسوريا . وهناك واصل خدمته الكرازية والتعليمية ...

ويعد اكليمنضس أول استاذ من أساتذة مدرسة الإسكندرية اللاهوتية نعرف عنه أخباراً مفصلة ، ووصلت لنا منه كتب ، بينما الأساتذة الذين سبقوه لم نعرف عنهم سوى أسمائهم[٥] ، وبعض شذرات ..، عدا الفيلسوف اثيناغوراس لوصول « دفاعه » عن المسيحيين ..

ويعتبر اكليمنضس الإسكندرى من أباء الكنيسة وقديسيها ، وكان الغربيون يحتفلون بذكراه فى الرابع من ديسمبر من كل عام حتى القرن السادس عشر[٦] . ويعد بكتاباته ، وخدمته التبشيرية واحداً من معلمى الكنيسة ومن اوائل فلاسفتها ولاهوتييها .

قالوا عنه : « يعد أول مسيحى إسكندرى حاول أن يوفق بين الفلسفة وبين اللاهوت »[٧] . « ويعتبر القديس أكليمنضس أب الفلسفة المسيحية الإسكندرانية » . وقال عنه يوسابيوس القيصرى ، أب التاريخ الكنسى بأنه « كان متمرنا فى الكتب المقدسة » ، وقال عنه البابا كيرلس الأول الملقب بعمود الدين « كان شغوفاً فى التعلّم ، خبيراً فى التاريخ اليونانى » ، وقال عنه القديس جيروم « أن مجلداته المعروفة مملوءة علماً وفصاحة ، يستخدم الكتب المقدسة والأدب الدنيوى .. وفى رأيى أنه اكثر الجميع علماً .. » . لهذا فلا عجب ان يعتبره بعض الدارسين « رائد الثقافة المسيحية » . كما أنه يعد « أول معلم منهجى للتعليم المسيحى ، والمثل الكنسى للثقافة المتحررة فى الكنيسة »[٨]

كما أن كتبه ومصنفاته تبين أنه رجل الثقافة الشاملة ، من فلسفة وشعر وآثار وأساطير وأدب ومنطق وموسيقى ، وتُظهر كتاباته سعة اطلاعه فى هذه المجالات ، وتدل على معرفته المحيطة بإنتاج مفكرى عصره وما قبل عصره من الاغريق ، فهو على دراية بأشعار هوميروس ، ومسرحيات يوربيدس ، وكتابات افلاطون ؛ والفلاسفة الرواقيين . كما أنه على علم بكتابات فيلون الفيلسوف اليهودى السكندرى . هذا بالإضافة إلى معرفته العميقة بالكتابات المسيحية الأولى : أسفار الكتاب المقدس وكتابات ما بعد الرسل . لهذا أستطاع أن يمزج الدراسة بالعمل التبشرى . فهو بذلك راعى النفوس المثقف ، كما قالت عنه موسوعة آباء الكنيسة اليونانيةُ .

ولعل فى هذه الشهادات العظيمة له ، من رجال لهم مكانتهم الكنسية والعلمية الكبيرة ، ما يشوقنا إلى معرفة المزيد عن اكليمنضس الإسكندرى والإقتراب من فكره وعلمه وفضائله ، بل والاقتداء به فى حياته وأفعاله .

★ ★ ★

إسمه بالكامل تيطس فلافيوس اكليمنضس Titus Flavius Clement ، وُلد حوالى عام ١٥٠ ميلادية من أبويين وثنيين ، أما عن مكان مولده ، فهناك روايتان فى هذا الشأن ، أحدهما تُرجع مولده إلى مدينة الإسكندرية والأخرى إلى مدينة أثينا اليونانية . وقد أعتمدت الرواية الأولى على طول مدة بقائه فى الإسكندرية ، بينما إستندت الرواية الأخرى على ما ورد فى أحد كتبه(٩) ، من أنه عندما روى خبر رحلاته الأولى فى شبابه ، بدأ من اليونان وإنتهى إلى الإسكندرية . ويرجح أغلب الباحثين بأن مولده بأثينا ، وأنه أمضى الكثير من حياته فى الإسكندرية . ويقول الأنبا غريغوريوس اسقف عام الدراسات اللاهوتية ، تعليقا على هذا : « سواء وُلد اكليمنضس فى أثينا أو وُلد فى الإسكندرية فالثابت أنه عاش فى الإسكندرية فترة طويلة وتربى فيها ، وتتلمذ على أيدى علمائها ، ثم عَلَّمَ فيها وكتب بحوثه . وتفكير الانسان عادة يتأثر بالبيئة التى يحيا فيها وبالأشخاص الذين يقابلهم ويعايشهم ، وبالمسائل والمشاكل التى تشغل أذهان معاصريه ومواطنيه ،

فاكليمنضس بهذا يعد فيلسوفاً إسكندريا شرقياً حتى ولو كان مسقط رأسه بلاد اليونان »[٦] . وقد لُقب بالإسكندرى ، تمييزاً له عن البابا اكليمنضس الرومانى وهو من الآباء الرسوليين .

وللأسف نحن لا نعرف الكثير عن تفاصيل حياته الخاصة ، فلا نعرف شيئاً عن تاريخ اعتناقه المسيحية ، ولا الظروف المحيطة أو الدوافع التى أدت إلى ذلك . كما أن الآراء اختلفت فيما إذا كان قد تزوج أم عاش بتولاً طوال حياته . وإن كانت كتاباته تفصح عن صورة واضحة لمعالم شخصيته كمعلم ، وملامح فكره وفلسفته . فهو يتسم بالتدين ، وعقله دائم البحث والتأمل ، محب للتجوال سواء فى الزمان أو المكان ، سعياً وراء المعرفة وارواءً لحبه للحقيقة ، كما اعترف بنفسه أنه لم يجد راحة إلا فى الله .

ويخبرنا اكليمنضس فى أحد كتبه أنه جال فى شبابه ، بحثا عن المعرفة مدفوعاً باشواق نفسه فى انحاء فلسطين وسوريا واليونان وايطاليا ، يتفرج على هذه البلاد ، ويدرس على مشاهير علمائها ، فعرف الأسرار الوثنية والمذاهب الفلسفية[٥] ، حتى قدم إلى الإسكندرية حوالى العام ١٨٠ ميلادية ، فلازم عميد المدرسة اللاهوتية فيها ، الذى كان فى ذلك الوقت القديس بانتينوس ، فتتلمذ على يديه وصار مساعداً له ، ويبدو أنه فى نهاية تطوافه وجد راحته فى فكر بانتينوس وتعاليمه فكان قوى الأثر فى نفسه .

وإن كان اكليمنضس يذكر أنه مدين لكثيرين من المعلمين الذين أخذ عنهم قبل لقائه ببانتينوس . ويحتمل أن يكون الفيلسوف اثيناغوراس واحداً من هؤلاء الذين اخذ عنهم .

ويقول اكليمنضس عن ذلك فى كتابه المتنوعات : « ليس هذا المؤلف كتاباً كُتب من أجل التفاخر ، ولكنه ذكرياتى التى إدخرتها لزمن الشيخوخة ، خشية النسيان ، هى صورة لم تزخرفها يد الفنان ، فهى مجرد تسجيل بسيط غير مزوق للكلمات القوية الحية التى كان لى حظ سماعها ، وتصوير لأشخاص مباركين بارزين .. من هؤلاء ذلك الأيونى الذى كان فى اليونان ، وآخر فى اليونان

الكبرى ، أحدهما من سوريا الوسطى والآخر من مصر . وكان هناك آخران فى الشرق أحدهما أشورى والآخر عبرانى من فلسطين . ولكننى عندما قابلت الرجل الأخير فيمن قابلتهم ، وفى تقديرى أنه الأول بالنسبة لمقدرته ، وكنت قد ظفرت به فى مصر ، فوجدت عنده راحتى العظمى .. »(١٠) . ومن الثابت عند كافة الدارسين الذين أرخوا للفيلسوفين ، أن الرجل الأخير الذى أشار اليه اكليمنضس هو القديس بانتينوس وإن لم يذكره بالأسم فى الفقرة التى أوردها فى كتابه المشار اليه ، إلا أنه ذكر ذلك صراحة فى كتابه « المجمل »(٦) .

وقد يكون كثرة تجوال اكليمنضس وأخذه العلم والمعرفة عن معلمين كثيرين وراء ما يظهر فى كتاباته من سعة اطلاعه وغزارة معارفه وتنوعها . كما أنها تشير الى أنه قد تربى تربية حرة طليقة . وفى ذلك ايضا ما ينبىء بأن عائلته كانت على قدر من الثراء أتاح له المقدرة على الأسفار والترحال والتفرغ للعلم والبحث .

ومن الثابت أنه بقى فى الإسكندرية يواصل التدريس بالمدرسة اللاهوتية . وعندما سافر القديس بانتينوس موفداً إلى الهند للكرازة حوالى العام ١٩١ ميلادية تسلم اكليمنضس رياسة المدرسة مؤقتاً بدلاً من استاذه حتى عاد من جولته التبشيرية فلما مات بانتينوس تولى اكليمنضس من بعده رياسة المدرسة . وقد سامه فى خلال هذه الفترة ، الأنبا ديمتريوس الكرام قسيسا على الإسكندرية . وقد قام بعمله الوعظى بإقتدار عظيم إلى جانب عمله التعليمى بالمدرسة اللاهوتية ، كما أنه بصفته كاهناً ومديراً للمدرسة قام بتعميق الصلة التى تربط الكنيسة بالمدرسة اللاهوتية(١١) .

وقد بدأت المدرسة فى عهد رياسة اكليمنضس مرحلة جديدة من مراحل تطورها . فإن كان ينسب للقديس بانتينوس إدخال الفلسفة والعلوم الدنيوية إلى مناهج المدرسة اللاهوتية ، فقد تطور هذا الإتجاه عند اكليمنضس بصورة كبيرة ، فقد أدخل الفلسفة بشتى فروعها فى منهج الدراسة بالمدرسة ، كما أدخل دراسة اللغات والبلاغة والشعر والمنطق والخطابة ، وأدخل الفنون والموسيقى والعلوم الطبيعية ، والهندسة والرياضيات والفلك والجغرافيا .. كل تلك العلوم والمعارف

والفنون وجدت مجالاً فى منهج اكليمنضس ، ووجدت لها علاقة بدراسة اللاهوت . فقد كان ينادى بأن كل العلوم والمعارف تؤدى إلى الفلسفة ، وأن الفلسفة خادمة اللاهوت[١٢] .

ولقد سار خلفاء اكليمنضس على هذا النهج الذى وضعه ، حتى أن كثيراً من طلاب العلم كانوا يلجأون إلى المدرسة اللاهوتية فى عهد اوريجانوس خليفته ليدرسوا على يديه الفلسفة الدنيوية مثلما كانوا يدرسون اللاهوت .

وتعد الفترة التى تولى فيها اكليمنضس رياسة المدرسة والفترة التى تليها مباشرة قمة ازدهار مدرسة الإسكندرية اللاهوتية . فقد صارت مقصد الطلاب من جميع البلاد ، وصارت المنهل العذب الذى ارتوى منه جميع مشاهير الأساقفة والرعاة فى كافة أنحاء العالم المسيحى يومذاك ، مما ساعد على تقوية الروح المسكونى للكنيسة الجامعة . وصار الوافدون إليها ليس فقط الموعوظين فحسب ، بل كانوا أهل علم ومعرفة ، وقانون وبلاغة وفلسفة ، وكانوا من الرجال والنساء من جميع الطبقات .

وفى الحقيقة كانت هذه الفترة من الفترات البهية فى تاريخ كنيسة الإسكندرية ومدرستها اللاهوتية .

ولكن سرعان ما حلت الغيوم . وإكفهر الجو باضطهاد عنيف ، وكان ذلك فى العام ٢٠٢ ميلادية . ففى تلك الأيام قويت الكرازة وازداد التعليم ، مما أدى إلى زيادة انتشار المسيحية ، وقد تنبه الإمبراطور سبتميوس ساويرس (١٩٣—٢١١) إلى ذلك فأصدر مرسوماً يقضى بمنع التبشير بالمسيحية[١٣] . ومعاقبة من يخالف ذلك . ولقد كان من الأسباب التى أثارت الإمبراطور وأدت إلى اصدار مرسومه هذا ؛ إزدهار مدرسة الإسكندرية اللاهوتية . وفى ذلك يقول الدكتور اسد رستم ، مؤرخ الكرسى الأنطاكى : « ... أما فى مصر فإن نجاح المدرسة اللاهوتية بالإسكندرية وأقبال الوجهاء والأعيان عليها ، وجلوس الفلاسفة والنسوة الشهيرات وافراد العائلات الأرستقراطية العالية وأبناء البيوتات المثرية على مقاعدها افزع سبتميوس ساويرس ... »[١٤] .

وعندما اشتد الإضطهاد ، إضطر اكليمنضس إلى مغادرة الإسكندرية والتجا إلى آسيا الصغرى نواحى سوريا وفلسطين . وهناك واصل كرازته وخدمته فى التعليم ، وذلك بشهادة معاصريه ، ومن ذلك ما جاء فى رسالة الأنبا الكسندروس اسقف اورشليم — فى ذلك الوقت — إلى كنيسة انطاكية حوالى العام ٢١١ ميلادية اذ جاء فيها : « هذه الرسالة أبعث بها اليكم يا إخوتى الأعزاء على يد اكليمنضس الكاهن الطوباوى ، الرجل الفاضل المبارك ، الذى سمعتم به وستعرفونه أيضا ، والذى بحضوره الينا — بفضل عناية الله وتدبيره — قد ثبت كنيسة الرب ونماها(٨) .

ولقد كان إضطهاد الإمبراطور ساويرس عنيفاً على المسيحيين ، وقد إستشهد فيه كثيرون من الإسكندرية منهم ليونيدس والد العلامة اوريجانوس تلميذ اكليمنضس . وتعد ظروف هذا الإضطهاد هى بداية ظهور اوريجانوس فى مجتمع الإسكندرية وكنيستها ومدرستها ، وخروجه عن كونه مجرد أنبغ تلاميذ مدرسة الإسكندرية اللاهوتية فى عصر أستاذه اكليمنضس ، ليصبح بعد ذلك من ألمع وأشهر الشخصيات فى مدينة الإسكندرية . وقد تولى اوريجانوس إدارة المدرسة اللاهوتية نظراً لغياب اكليمنضس عن الإسكندرية . ويعد اوريجانوس رغم الإختلاف حوله ، المعلم الأول للاهوت فى الكنيسة وفيلسوفها الكبير ، وإبنها البار الذى أضاعه تفوقه وضعف الآخرين .

وقد ظل اكليمنضس فى ملجأه بآسيا الصغرى ، حتى تنيح حوالى العام ٢١٥ ميلادية . بعد أن عاش عمره مسافراً وراء الحقيقة ، بالبحث والدرس والتأمل ، مبحراً فى العلوم والفنون والفلسفات ، غائصاً إلى عمق العلوم اللاهوتية والمعارف الدينية والخبرات الروحية . وأمضى حياته معلماً .. وكارزاً وكاهناً ، ثم إنطلقت روحه من عالم المادة إلى عالم الروح ، وتوارى الجسد فى التراب ، وبقيت سيرته فى الحياة بما فيها من قوة العلم والمعرفة وعبير القداسة .

وشهد له التاريخ أنه فارق عالمنا .. أباً .. ومعلماً .. وفيلسوفاً .. وقديساً .. والآن نتجة لنتعرف على كتابات .. وتعاليم .. وفلسفة القديس إكليمنضس الإسكندرى .

(٣)

والآن بعد أن أشرنا بإيجاز للمقدمات التى سبقت القديس اكليمنضس الإسكندرى وكان لها الأثر فى تكوينه ، وكذلك عبرنا بإختصار سيرة حياته والأحداث المعاصرة له ، سوف نحاول هنا أن نعرف كتاباته التى صنفها ، ونتعرف أيضا على فلسفته وتعاليمه . ولعلنا بعد ذلك نكون قد ألممنا بشيء يعيننا على إدراك القامة الكبيرة للقديس اكليمنضس بين آباء ومعلمى الكنيسة ، وأنه واحد من اولئك الرجال الذين بعلمهم وعملهم تركوا العالم وهو أفضل مما كان عليه قبل قدومهم إليه ، خاصة فى مجال الفكر المسيحى والتعليم الكنسى ، ليس بما قدم من فكر وعلم ، وأوجد من مناهج وأساليب فحسب بل أيضا بما أصّل وعمّق فى التقليد الرسولى ، وهو ما انتفع به الكثيرون فى عصره وما بعد عصره بزمان طويل . خاصة إذا عرفنا أن القديس اكليمنضس الإسكندرى هو أول مفكر مسيحى كتب يشرح العقيدة المسيحية فى الكنيسة الجامعة على وجه الإطلاق(١٥).

كتاباتـــه :

يعد القديس اكليمنضس الإسكندرى ، من أغزر مفكرى الكنيسة إنتاجاً فى مجال الكتابة ، كما أنه من أخصبهم فكراً . ومن حسن الحظ أنه يعد أيضاً من بين القليلين فى عصره الذين بقى لنا من كتاباته الكثير ، وإن كان فقد منها الكثير أيضاً .

ويشتهر القديس اكليمنضس بثلاثة أعمال رئيسية ، وهى :

١ـــ نصح لليونانيين (الهادى) .
٢ـــ المربى : فى ثلاثة أجزاء .
٣ـــ المتنوعات (المعلم) : فى ثمانية أجزاء .

ويكشف هذا الثالوث عن المنهج اللاهوتى عند القديس اكليمنضس ، بل عن منهج الدراسة فى مدرسة الإسكندرية اللاهوتية . فقد كان يرى أن اللوغوس

(كلمة الله) عندما يدعو الناس إلى الخلاص يسمى (الهادى) ، وعندما يقوّم حياتهم ويصلح نفوسهم ويهذبها يسمى (المربى) ، وحين يلقّنها الوحى ويدخل بها إلى عمق معرفة الإلهيات يسمى (المعلم) .

وإلى جانب هذا الثالوث الشهير هناك كتابات أخرى للقديس اكليمنضس سوف نذكرها بعد أن نتعرف على الأفكار الرئيسية فى هذا الثالوث .

١ــ نصح لليونانيين (الهادى) Protrepticus :

جاء هذا الكتاب شبيهاً برسائل المدافعين عن الإيمان المسيحى ، يخاطب فيه القديس اكليمُنضس الوثنيين من اليونان يقصد أن يهديهم إلى الإيمان بالمسيح ، فهو يقدم عرضاً نقدياً للعبادة الوثنية وأساطيرها وتعدد الآلهة فيها ، ثم يوجه دعوة حارة للوثنيين ليهتدوا من خلال إنصاتهم إلى اللوغوس ــ كلمة الله ــ (الهادى) حتى ينالوا إستنارة روحية فعالة . وقد قارن فى هذا الكتاب بين حياة المسيحيين وأعمالهم من ناحية وبين حياة الوثنيين وأعمالهم من ناحية أخرى ، وفى النهاية وضع الوثنيين أمام الأختيار الحر بين الحياة المسيحية والحياة الوثنية التى يعيشون بها . وفى هذا الكتاب يعترف بأنه يرى أن الفلاسفة اليونانيين أمثال افلاطون قد ادركوا بعض الحقائق الإيمانيه بالإلهام او عن طريق معرفة التوراة . وقد كتب هذا الكتاب حوالى العام ١٩٠ ميلادية .

٢ــ المربى Poedagogus :

ويعتبر هذا الكتاب ــ حسب منهج القديس إكليمنضس ــ إمتداداً لكتاب نصح لليونانيين . وغايته تعليم وتربية الذين اهتدوا وقبلوا دعوة اللوغوس ، حتى يمكنهم ان يمارسوا الحياة المسيحية العملية .

ويتكون هذا العمل من ثلاثة أجزاء ، الجزء الأول فى شخص المربى وهو السيد المسيح الذى يشفى المؤمنين من خطاياهم ويطهرهم منها . ويرى القديس إكليمنضس أن الله هو المربى الأعظم ، وأن التعليم الذى من الله هو طريق الحق الصحيح ، وإن العلاقة التى تربط الإنسان المؤمن بالله علاقة روحية ، وأن

الإنسان كلما ترك رغبات الجسد إزداد نموه الروحى وازداد اقترابه من الله ، حتى يصير إبناً لله .

أما الجزءان الثانى والثالث فهما يضمان الكثير من الوصايا السلوكية ، والأخلاق العملية وذلك بقصد أن يتقدس الإنسان كإبن لله ، ويتسلم التعليم الذى يجعل منه مواطناً سماوياً . فالقديس إكليمنضس يقدم فى هذين الجزئين ما ينبغي على المسيحى أن يسلك به فى المجتمع من أخلاقيات ومبادىء . فهو يتكلم عن آداب الطعام والشراب ، وآداب الحديث والضحك ، وأشاد بالسلوك اللائق فى الأعياد والإحتفالات . كما أنه تحدث فى التزين وإستخدام الحلى ونهى عن الشغف بها . وتكلم أيضا فى مفهوم الجمال الحقيقى وأنه ليس فى المظهر وإنما فى السلوك بفضيلة . كما إنه تحدث عن كيفية قضاء الوقت ونصح بضرورة تقديس وقت العبادة والذهاب إلى الكنيسة . كذلك تعرض فى حديثة إلى روح الحب التى ينبغى أن تسود العلاقات فى الأسرة كما أوصى فى هذا المجال بضرورة المعاملة الطيبة للخَدَم . وهو فى كل ما تعرض له يوصينا أن نتسامى عن رغبات الجسد واهوائه . كما أنه فى كل ما أوصى به من فضائل ومبادىء واخلاقيات كان يؤكدها بآيات من الإنجيل كما وردت فى وصايا السيد المسيح وفى تعاليم تلاميذه القديسين .

ويعتبر كتاب المربى هذا أحد الكتب التى كانت تستخدم فى مصر وخارج مصر كمصدر للتعليم المسيحى فى العصر القبطى[١٦] .

٣ـــ المتنوعات أو المتفرقات (المعلم) Stromata :

وهذا الكتاب هو آخر ثالوثه الشهير ، وكان يقصد به تعليم الذين مارسوا لحياة المسيحية حسب وصايا الإنجيل للدخول بهم إلى معرفة الإلهيات ، وكان سوف يسميه (المعلم) وذلك استكمالاً لمنهجه فى التعليم ، ولكن يبدو أنه لم يكتب الكتاب بالصورة التى كان يتمناها ، ربما لعدم القدرة[١٧] ، أو لضيق الوقت . ولكن ما وصل الينا هو المادة الأصلية التى أعدها لكتاب المعلم

فجمعت وعُرفت بالمتنوعات أو المتفرقات نظراً لتنوع مادتها وتفرق موضوعاتها .. والكتاب يقع فى سبعة أجزاء ويلحق به جزء ثامن عن المنطق .

وهذا الكتاب فى مجموعه عن أخلاق المسيحى الكامل . وقد تعرض القديس إكليمنضس فى هذا الكتاب لعلاقة الديانة المسيحية بالعلوم الدنيوية وخاصة الفلسفة اليونانية . كما أنه فى هذا الكتاب تعرض للهراطقة الغنوسيين الذين غالوا فى رفع قيمة المعرفة والحط من قيمة الإيمان ، كما وضعوا العقل فوق الإيمان فى معرفة الله ، وفى هذا المجال قدم الغنوسية المسيحية فى مقابل الغنوسية المنحرفة .

وهناك بعض الدارسين يعتبرون كتاب المتنوعات هذا من أعظم الكتابات المسيحية فى القرنين الثانى والثالث ، برغم اعترافهم بصعوبة الكتاب . ولكن القديس إكليمنضس كان قد سبقهم وأقر هو بنفسه هذا الرأى ، فقد شبه كتابه هذا بالحقل المملوء بأنواع النباتات المختلفة ، والإنسان المجتهد هو الذى سوف يجد ما يطلبه إذا فتش عما يطلبه .. كما أن القديس إكليمنضس كان يرى إن اسرار المعرفة لا تقدم بوضوح شديد للقارىء غير المؤهل لمعرفتها .

٤ـــ كتابات أخرى للقديس إكليمنضس الإسكندرى :

(أ) من هو الغنى الذى سيخلص :

وفى هذا الكتاب يوضح القديس إكليمنضس وجة نظر المسيحية فى الغنى ، وقد كتبه فى شكل عظة على لقاء السيد المسيح مع الغنى الذى ورد ذكره فى إنجيل القديس مرقس . وقد كتبه رداً على دعاوى راجت فى عصره يرى أصحابها أن الغنى يتنافى مع خلاص النفس . وقد بين فى هذا الكتاب أن الغنى فى ذاته ليس شراً ولا يحرم الإنسان من ملكوت السموات وإنما الخطية هى التى تحرم الإنسان من الملكوت ، فالغنى إن استخدم للخطية صار شراً وإن استخدم للتقوى صار فضيلة .

(ب) كتاب المجمل :

وهو يتكون من ثمانية أجزاء ، ويتضمن تفاسير رمزية لعبارات من الكتاب .

المقدس بعهديه وفى هذا الكتاب يتضح تأثر القديس إكليمنضس بأستاده القديس بانتينوس . كما اخذ فيه بالمنهج الرمزى فى تفسير الكتب المقدسة عن الفيلسوف اليهودى فيلون السكندرى (القرن الأول) الذى كان أول من عمل بهذا المنهج . وقد تطور هذا المنهج تطوراً كبيراً فيما بعد على يد العلامة اوريجانوس تلميذ القديس إكليمنضس فى مدرسة الإسكندرية اللاهوتية .

وهذا العمل مفقود ولم يصلنا منه سوى شذرات وردت فى مجموعات أفسدها الهراطقة فى وقت متأخر فاشتملت على تعاليم فاسدة ، ومما يؤكد انها مدسوسة عليه أن أحداً من الكتاب المتقدمين أمثال يوسابيوس والقديس جيروم لم يشر إليها . وقد كانت هذه المدسوسات وغيرها من ضمن الأسباب التى دعت بعض الغربيين إلى إيقاف الأحتفال بذكراه التى أقيمت سنويا حتى القرن السادس عشر باعتباره أحد آباء الكنيسة .

(جـ) رسالة عيد الفصح :

فى هذا الكتاب سجل القديس إكليمنضس التقاليد الكنسية التى سمعها عن الآباء المتقدمين لفائدة الأجيال القادمة . وقد كتبه تحت الحاح معاصريه لتحديد العلاقة بين عيد القيامة عند المسيحيين وبين عيد الفصح عند اليهود . وهذه الرسالة من الكتابات المفقودة .

(د) أعمال أخرى :

للقديس إكليمنضس كتابات أخرى ولكنها مفقودة مثل مقالات فى الصوم ، والنميمة ، والشتيمة . وكذلك رسالة فى الحث على الثبات فى الإيمان . وأيضا كتاب فى القانون الكنسى . كما أن القديس إكليمنضس أشار فى مواضع من كتبه عن إعتزامه تأليف كتب فى موضوعات مختلفة مثل الزواج ، وكتاب عن الهرطقات ، وكذلك فى موضوع القيامة . كما اشار الى رغبته فى الكتابة عن واجبات الأساقفه والقسوس والشمامسة ، والكتابة فى موضوعات تناسخ الأرواح ، وفى أصل الكون ، وفى وحدة الكنيسة . ولا يُعرف إن كان قد ألف هذه الكتب وفقدت أو لم يتاح له تأليفها[٨]

وقد تميزت كتابات القديس إكليمنضس الإسكندرى بمعاصرة لزمانها ، ففيها يظهر لأول مرة فى تاريخ الأدب المسيحى والفلسفة المسيحية إمتزاج الكتابات المسيحية بالأدب المعاصر لها . فقد عَرَضَ القديس إكليمنضس كتاباته مستشهداً ليس وحسب بآيات الكتاب المقدس وكتابات ما بعد الرسل ، بل أيضا بنصوص الشعراء ، وكتابات الفلاسفة ، واقوال الحكماء ، وأيضاً مستعيناً بالأساطير والأدب والمنطق . لهذا فهو يعد بحق رائد الثقافة المسيحية ورجل الثقافة الشاملة .

ولقد بقيت كتابات القديس إكليمنضس لقرون عديدة تقرأ فى الكنائس لتوجيه المؤمنين إلى حياة الفضيلة ، وذلك لأنها إشتملت على الكثير من الإرشادات والفضائل العملية فى توجيه السلوك الإجتماعى بالإضافة إلى التوجيه الروحى الذى يساعد على النمو فى الروحيات سعياً إلى الإقتراب من الحقائق الإلهية .

★ ★ ★

فلســـفته :

يعد القديس إكليمنضس الإسكندرى أول مفكر مسيحى يتصدى لإظهار أهمية الفلسفة والدفاع عنها بصورة حاسمة ، وكان ذلك منه رداً على حركة قامت فى أنحاء الكنيسة تهاجم الفلسفة وتحملها تبعة البدع والهرطقات التى كثرت فى ذلك الزمان ، وقد راجت هذه الأفكار بين العامة وبعض الخاصة . فقام إكليمنضس ليدافع عن الفلسفة ويدفع عنها التهم التى نزلت عليها ويبين أهميتها بل وضرورتها ، وكان دفاعه فى بيان واضح وببراهين قوية . فيقول اكليمنضس فى كتابه « المتنوعات » : « كانت الفلسفة ضرورية من أجل اليونانيين ليتقدموا إلى البر حتى يأتى الرب وقد تهيئوا لقبول الإيمان ، وهى الآن تساعد على التقوى الحقيقية ، كما أنها تمهيد وتدريب لكل الذين يصلون إلى الإيمان عن طريق البراهين العقلية ، فإذا كانت العناية الإلهية هى مصدر كل الصلاح سواء فى اليونانيين (الوثنيين) أو فينا نحن (المؤمنين) ، فهى تعمل فى الفلسفة للإيمان ، لأن الله

هو مصدر الصلاح كله ، وهو يعلن نفسه بطريق مباشر فى العهدين القديم والجديد ، أو بطريق غير مباشر فى الفلسفة ؛ التى استفادت من الكتاب المقدس بعهديه . ولذلك يمكن القول إن الفلسفة قد أعطيت لليونانيين من الله ، إلى أن يتجسد الرب ويدعوهم لقبول الإيمان ، والفلسفة بذلك تصبح المهذب أو المعلم الذى يساعد العقل اليونانى على قبول المسيح ، فهى التمهيد الذى يهىء الطريق للكمال فى المسيح »[١٥] .

وفى رأيه أن غاية الفلاسفة فى كل المذاهب الفلسفية هى نفس غاية المسيحية ألا وهى الحياة الفاضلة ، والفارق هو أن الفلاسفة لم يتمتعوا إلا بقبسات من الحق ، بينما المسيحية قد أعلنت الحق كاملاً فى المسيح . وكان يرى أن واجب المسيحى المثقف نحو نفسه يوجب عليه التفقه فى الدين ، وأن الفلسفة هى خير اداة لتحقيق هذا الهدف . ومع ذلك فقد أعلن بوضوح بأن الفلسفة ليست وسيلة ضرورية للإنسان ذى الإرادة الصالحة لكى يؤمن ، لأن كثيرين قبلوا الإيمان بدونها . كما أن الفلسفة ليست ضرورية للمؤمن لكى يتذوق حقائق الوحى ، فهناك فى كل عقل سليم ، حتى ولو كان أمياً ،قبس من فلسفة طبيعية تصلح أساساً للإيمان ، وإن كانت بقدر قليل .

وقد قدم تعريفاً للفلسفة من وجهة نظره فقال : « إنها ليست كل ما قال فلاسفة اليونان ، بل كل ما قيل من حق فى أى مذهب منها »[٥] . وبصفة عامة كان يرى أن الفلسفة الأفلاطونية هى خير المذاهب وأن افلاطون أفضل الفلاسفة وقد تأثر به واخذ عنه . وقد اخذ ايضا عن الفلاسفة الرواقيين تحليلهم للفضائل والرذائل ، وفيما عدا ذلك فقد رفض آراءهم وتشددهم الأخلاقى فى إظهار فضائلهم . كما أنه تأثر بالفيلسوف اليهودى فيلون الإسكندرى وإقتبس منه ، وأخذ عنه التفسير الرمزى للكتب المقدسة .

ويعد القديس إكليمنضس اول فيلسوف مسيحى سكندرى قام بالتوفيق بين الفلسفة واللاهوت . وكان يرى أن الفلسفة خادمة للاهوت وليست مناقضة له .

القديس إكليمنضس والفلسفة الغنوسية :

أشرنا من قبل أن القديس إكليمنضس فى كتابه المتنوعات قد تصدى للفلسفة الغنوسية والتى تعد فى نظر الكنيسة هرطقة ، وقدم منهجاً غنوسياً مسيحياً حقيقياً كان له الأثر الكبير فى القضاء على تلك البدعة التى أقلقت الكنيسة فى القرون الثلاثة الأولى . ولقد كان فى تصديه للفلسفة الغنوسية المنحرفة يحارب معركته الكبرى وكان فارسها القدير : فهو لم يهاجم الغنوسية وإنما كشف عن الغنوسية المسيحية ، وهو فى ذلك مثال يُقتدى به — للمفكر الذى لا يمضى حياته كلها فى الهجوم على من يخالفونه ، بل يعمل على تقديم البديل الصحيح .

والغنوسية من الكلمة اليونانية (Gnosis) وتعنى المعرفة . وهى شيعة دينية فلسفية متعددة الصور . ومبدؤها أن المعرفة الحقيقية ليس العلم بواسطة المعانى المجردة أو عن طريق الإستدلال الفلسفى ، وإنما هى المعرفة الحدسية التجريبية التى تنتج عن إتحاد العارف بالمعروف ، وغايتها هى الوصول إلى معرفة الله عن هذا الطريق . والغنوسية فلسفة صوفية تزعم أنها المثل الأعلى للمعرفة . وكانت الغنوسية تعدو على الأديان والمذاهب بالتأويل والتحريف والتحوير ، مدعية أنها تحولها إلى معنى أعمق ، وقد فعلت ذلك مع الوثنية ومع الديانة اليهودية وهو نفس ما فعلته مع الديانة المسيحية[٥] .

فما كادت المسيحية تظهر وتنتشر حتى تناولتها الغنوسية ، وأخذت أسمها وشكلها وحرفت فى عقائدها ومضمونها . وكان أول ظهور هذه البدعة فى المسيحية بمدينة السامرة ، ثم فى الإسكندرية ، وهى تعتمد فى الأكثر على الخرافة والسحر فراجت بين العامة مما زاد من خطرها ..

والغنوسيون يزعمون بأن هناك تعارضا بين التوراة والإنجيل ، فنبذوا التوراة تماماً ، كما انهم قبلوا من بين الأناجيل والرسائل ما راقهم وحذفوا الفصول والآيات التى تناقض آراءهم ، بل قاموا بتأليف كتب دينية خاصة بهم تدعم آراءهم ،

ووضعوا عليها أسماء الرسل ، ولعل أقدم هذه الكتب هو سفر أعمال يوحنا الذى كُتب حوالى سنة ١٥٠ ميلادية(١٥) .

هذا بالإضافة الى ابتداعات الغنوسيين فى العقائد المسيحية ومنها أن المسيح نزل من السماء ولم يولد من العذراء مريم ، بل ظهر تام التكوين ، وأخذ يعلم ويُعرف الناس بالله الآب ، فلم يتخذ له جسماً مادياً ، بل ظهر فى شبه جسم ، لأن المادة رديئة . وبسبب اعتقادهم فى رداءة المادة فقد حرموا أكل اللحم ، ورفضوا الزواج ليعجلوا بفناء العالم المادى ، كما إنهم رفضوا العماد فى الماء واكتفى بعضهم بالتعميد بالميرون . وقد أنكر بعضهم تألم المسيح وموته على الصليب . ومن عقائدهم أن الخلاص لا يتم بالإيمان ، بل عن طريق معرفة اسرار الكون . وجعلوا الفكر الخالص رقيباً على الوحى يرفض منه ما لا يقبله وينكر منه ما لا يوافقه ..

ولقد أنكر المسيحيون أفكارهم واعتبرتهم الكنيسة هراطقة توجب مقاومة تعاليمهم .

ولقد قام القديس إكليمنضس السكندرى فى وجه هذه البدعة ، وقدم الغنوسية المسيحية ، وفى فصول مطولة من كتابه المتنوعات قدم عرضاً لسمات الغنوسى الحقيقى أو الغنوسى الكامل تمييزاً له عن الغنوسى المنحرف الذى قدمه فلاسفة الغنوسية .

فالغنوسية الحقيقية عنده ، ليست مجرد معرفة نظرية ، لكنها دخول إلى كمال المسيح ، دخول من الناموس (العهد القديم) إلى المسيح مكمل الناموس فى (العهد الجديد) . فالمسيح يهب الغنوسية (المعرفة) من خلال قراءة الكتاب المقدس بروح كنسى . كما أكد أيضا أن المعمودية هى التى تجعل (المعرفة) الغنوسية ممكنة لأنها تعطينا إستنارتنا الداخلية .

وقد رأى القديس إكليمنضس أن الغنوسى الحقيقى يتميز بسمات رئيسية هى : حبه للمعرفة وطلبها ، وسعيه إلى الفضيلة والصلاح ، وقدرته على السمو

فوق الآلام وعدم الخضوع لها . كما أن الغنوسى الحقيقى يحيا الحب الكامل كسمة أساسية فى حياته ، وأنه فى كل أعماله يسعى ليتمم ارادة الله ، كما أنه رجل صلاة ، لا يخشى الموت ، شجاعاً شاهداً للحق المسيحى .

وقد اشترط القديس إكليمنضس شروطا يجب توافرها فى الإنسان الذى يريد أن يقتنى الغنوسية الحقيقية هى : حياة التأمل الذى بها يقتنى المعرفة الإلهية ، وأن تتحول معرفته الإلهية إلى ممارسة عملية فى حياته للوصايا الإنجيلية ، وأن يسلك بروح الكنيسة متمسكاً بالتقليد وتعليم الآباء القديسين[٨] .

فالغنوسى الحقيقى فى نظره هو المسيحى الذى وصل إلى درجة من الإيمان والفهم الروحى تمكنه من أن يتسامى على الأخطاء ، وأن يتابع النمو فى القداسة والحكمة والمحبة ، فهو وإن كان يعيش فى الجسد إلا أنه يتحرر من سيطرته . والغنوسى الكامل يجد فى الله المعلم الأول والحقيقى الذى يقوده الى المعرفة من البداية إلى النهاية ، وطريقه إلى ذلك كثرة التأمل .

كما أنكر القديس إكليمنضس مبدأ رفض الزواج ، ورأى فى هذا تحطيم الاسرة وفناء النوع . وقال أن الزواج المسيحى لا يهدف إلى إشباع الشهوة بقدر ما يشبع الميول الوالدية ويستهدف حفظ المجتمع بل النوع الإنسانى كله[١٦] .

ويرى القديس إكليمنضس أن الغنوسى الحقيقى هو الذى يتربى على الكتب المقدسة ، ويتمسك فى تعاليمه بالأرثوذكسية الرسولية الكنسية ، ويعيش بحق فى توافق مع الأنجيل ، ويستنبط البراهين التى يطلبها من الشريعة والأنبياء . كما أن القديس اكليمنضس يرى أن حياة الغنوسى المسيحى الحقيقى هى فى اتفاق أفعاله وأقواله مع تعاليم السيد المسيح . كما يقرر بوضوح أن من يعتزل التقليد الكنسى إنما يحرم نفسه من أن يكون رجل الله . وباختصار فقد رأى فى كلمة غنوسى تعبيراً عن المسيحى الذى يعيش فى معرفة الله بروح كنسى .

تعاليم كثيرة قالها القديس إكليمنضس الإسكندرى فى هذا المجال وغيره ، ويعجز الإختصار أن يقدمها دون الاخلال بها ، وما ذكرنا منها إلا مجرد قبسات

قد تعيننا على معرفة مقدار مكانة هذا المعلم العظيم ، هذا الى جنب ما قدمه من تعليم فى عقائد المسيحية الثابتة فيما يتصل بتجسد وميلاد وموت وقيامة وصعود السيد المسيح والتى فيها رد على مقولات هراطقة الغنوسية فى هذا المجال ..

★ ★ ★

مقتطفات من أقوال القديس/اكليمنضس الإسكندرى :

+ من هو المعلم ؟:

« من هو المعلم ؟ـــ تعلموا بإختصار .. أنه كلمة الحق ، كلمة عدم الفساد ، الذى يجدد الإنسان إذ يرده إلى الحق . إنه المهماز الذى يحث على الخلاص . إنه محطم الهلاك .. وطارد الموت .. إنه هو الذى يبنى هيكل الله فى الناس ، فيأخذهم الله سكناً له » .

+ الكتاب المقدس :

« الذى يؤمن بالكتاب المقدس وبصوت الرب العامل لخير البشرية مؤمن حقاً » .

+ الفضائل :

« الفضائل تتبع الواحدة الأخرى ، فالإيمان يترجى خلال التوبة ، وخوف الله خلال الإيمان ، والصبر فى ممارسة هذه الأمور مرتبط بالحب ويتكمل بالمعرفة » .

+ الدرجات الكهنوتية :

« ... إن الدرجات الكنسية التى للأساقفة والقسوس والشمامسة ، هى إقتداء بالأمجاد السماوية ، وبالتدبير الذى يقول عنه الكتاب المقدس : أنه ينتظر اولئك الذين يتبعون خطوات الرسل الذين عاشوا فى كال البر بحسب الإنجيل ، فإنهم أولاً يخدمون شمامسة وبعد ذلك يحسبون أهلاً أن يكونوا قسوساً ، إذ بتغيرهم من مجد إلى مجد ، يبلغوا إلى إنسان كامل » .

+ فى الذهاب إلى الكنيسة :

« يليق بالنساء والرجال أن يذهبوا إلى الكنيسة بهدوء ونظام وسكون ، وفى قلوبهم محبة صادقة فيما بينهم ، ويكونون أطهاراً بالجسد وأطهاراً بالقلب لكى يكونوا لائقين للصلاة أمام الله .

وعلى النساء بوجه خاص أن يلتفتن إلى ذلك بالأكثر وتكون المرأة كلها مغطاة لأن ملبسها أمر خطير ويحميها من نظرات الناس ، والتى تضع التواضع أمامها لا تسقط أبداً ..، وهكذا كل من كرس نفسه للمسيح عليه أن يسلك خارج الكنيسة بنفس السلوك الذى كان عليه داخلها » .

+ الــزواج :

« لا يقف الزواج عند الإنجاب ، بل هو سر الحب المشترك ، والتعاون الذى يربط الزوجين معاً برباط أبدى لا يحله حتى الموت » .

+ الحياة مع الله :

« إن الضمير الصالح يحتفظ دائماً بتقديس الله والبر تجاه الناس ، حافظا النفس طاهرة بأفكار لائقة وكلمات نقية وأعمال فاضلة ، وهكذا ينال الإنسان قوة من الله ، فتجاهد النفس لتكون حسب الله ... معطية الشكر لله فى كل حال ، بالإستماع للبر ، والقراءة الإلهية ، والمعرفة الصادقة ، والذبيحة المقدسة ، وبصلاة البركة ، بالتسبيح ، والترتيل ، والحمد .. مثل هذه النفس لا يمكن فى أى وقت أن تنفصل عن الله » .

+ الشركة مع القديسين :

« الإنسان الروحانى ، يدرك سر صيام اليومين : الأربعاء والجمعة ، ويحفظ يوم الرب ، ممجداً قيامة الرب فى قلبه .. طاهراً دائما باستعداد الصلاة ، يصلى مع جوقة الملائكة لأنه قد صار فى رتبتهم ودائما محفوظ بعنايتهم .. وعندما يصلى بمفرده لا يكون وحده ، وإنما تكون صفوف القديسين واقفين معه . صلاته تكون

شكراً على ما فات ، وشكراً على الحاضر ، وشكراً على ما هو آتى .. مقدماً الشكر لله دائماً أبداً » .

+ **الصــــلاة :**

« إن كان البعض يحدد ساعات للصلاة كالثالثة والسادسة والتاسعة ، إلا أن الإنسان الحكيم يصلى على الدوام مدى الحياة . لكى باجتهاده الدائم فى الصلاة يكون فى شركة دائمة مع الله ... » .

+ **التنــاول :**

« يقول المسيح : أنا الذى أغذيك ، أعطى نفسى طعاماً لك ، والذى يذوقنى لا يذوق الموت بعد ، وأعطى نفسى لك شرابا كل يوم كدواء لعدم الموت» .

+ **الخليقة الجديدة :**

« المجد لك أيها النور الحقيقى الذى أشرق فينا نحن المدفونين فى الظلمة المحبوسين فى ظل الموت . لقد أشرق لنا النور من السماء أنقى من الشمس وأطيب من الحياة التى على الأرض ، لأنه هو الحياة الأبدية وكل من يشترك فيه يحيا ، هذا هو معنى الخليقة الجديدة ... بذلك النور الذى حول غروبنا إلى شروق ، الذى بالصليب رفع الموت إلى حياة وانقذ الإنسان من الهلاك وأصعده إلى السموات ...، واهبا لنا ميراثا الهياً مع الآب ، مؤلها الإنسان بالعلم السمائى جاعلاً **نواميسه** فى أذهاننا مكتوبة فى قلوبنا ... » .

+ **إلى من نحتاج :**

« يحتاج المرضى إلى طبيب ،
ويحتاج الضالون إلى مرشد ،
ويحتاج العميان إلى من يقودهم إلى النور ..
والعطاش إلى ينبوع الحياة الذى من يشرب منه لا يعطش أبداً ،
والموتى الى الحياة ،
والخراف الى راعٍ لها ،

والأبناء إلى معلم .

لكن البشرية كلها تحتاج إلى يسوع » .

+ **الإيمان والمعرفة :**

« **ليست معرفة بدون إيمان ، ولا إيمان بدون معرفة .. »**

+ **الطاعة الكنسية :**

« نحن لا نرتبط قط بشيء يجعلنا نتعدى قوانين الكنيسة » .

+ **... والأذن أيضا :**

« إن أشعياء النبى تطهر لسانه بجمر النار حتى يستطيع أن ينطق بالرؤيا ، وكذلك نحن يلزم أن نتطهر لا من جهة اللسان فقط بل والآذان ايضاً ، إذا أردنا أن نكون شركاء فى معرفة الحق » .

★ ★ ★

خاتمـــــــة :

ليتنا نعلم ، إننا عندما **نعرض** لحياة هؤلاء الآباء من أمثال القديس اكليمنضس الإسكندرى ، ونتعرف على فكرهم ، فإننا لا نسعى من وراء ذلك لمجرد قراءة سيرتهم ومعرفة تعاليمهم ، ثم نمضى .. وننسى ، بلى .. فنحن لا نريد التعرف عليهم على سبيل « الفرجة » السريعة على أشخاص تاريخيين . فليس هذا هو القصد من سير الآباء ، وإنما القصد هو معرفة حياة هؤلاء الآباء للتأمل فيها .. واطالة التفكير ، سعيا وراء التعلم منها والاقتداء بها .

لنعرف كيف عاشوا فى ظروف شديدة القسوة من اضطهادات ومقاومات ، ومع هذا إستطاعوا أن يقدموا الكرازة .. والتعليم .. والخدمة .. والشهادة ؟!

لنعرف كيف تمكنوا من جمع هذا المحصول الوافر من العلم والمعرفة والفضيلة ، رغم قلة الإمكانيات أحيانا وندرتها فى أغلب الأحيان ؟!

لتعرف كيف كرسوا حياتهم وعكفوا على التقوى والكرازة ، وقاموا بالتعليم فى بلادهم وخارج بلادهم ، وكتبوا المصنفات التى لازالت حية رغم مرور مئات السنين ..

نعرف .. فنتعلم .. ونقتدى ..

فنحن لسنا فى حاجة إلى الفرجة على هؤلاء الرجال .. بل نحن فى حاجة إلى معايشتهم فى فكرهم وفعلهم ..

محتاجون إلى كنوز تعاليمهم لنسد عوزنا ..
محتاجون إلى نقاء ينابيعهم لنروى عطشنا ..
محتاجون إلى إصالة إنتمائهم لنرد غربتنا ..
محتاجون إلى الإقتداء بهم على مستوى الفعل .. ومستوى الفكر ..

ربما ساعدنا ذلك فى الخروج من مأزق تكرار الكلام حتى الملل ، وترديد العبارات حتى فقدان المعنى .. وضياع الأثر .

ربما أخرجنا هذا من رتابة النصائح الفاترة ، والأفكار الضيقة ، إلى ساحة التعاليم الرحبة ، والحياة المتوافقة .

ربما وجدنا فيهم البذار الجيدة ، التى تعطى ثماراً جيدة ، فنجد جيلاً من الأبناء يفوق الآباء والاجداد فى القامة ، علماً وروحانية ، بدلاً من بقائنا نذكر الأسلاف ونبكى مجدهم القديم .

ربما يحقق لنا هذا رغباتنا الملحة ، فى أن نسمع كلاماً جديداً ، وأن نعرف فكراً عميقاً ...

ربما بعودتنا إلى فكر الآباء وتعاليمهم تكون البداية للخروج من مستنقع الإهتمام بالأمور الصغيرة ، والدوران فى الدوائر الضيقة .. ونسمو مع هؤلاء الرجال العظام ، فنكون جديرين بأن يكونوا لنا آباءً ، ونكون مستحقين أن نكون لهم أبناءً .

المراجـــع :

١ ـــ انبا غريغوريوس ـــ الفلسفة المسيحية الشرقية .

٢ ـــ ايريس حبيب المصرى ـــ قصة الكنيسة القبطية (الكتاب الأول) ، الطبعة الثانية ١٩٦٩ .

٣ ـــ القمص تادرس يعقوب ملطى ـــ كنيسة علم ولاهوت ـــ ١٩٨٦ .

٤ ـــ دكتور مصطفى العبادى ـــ الاسكندرية فى العصر الرومانى (من كتاب الاسكندرية منذ اقدم العصور ـــ اصدار محافظة الاسكندرية) ١٩٦٣ .

٥ ـــ يوسف كرم ـــ تاريخ الفلسفة اليونانية ـــ ١٩٥٣ .

٦ ـــ انبا غريغوريوس ـــ اكليمنضس الاسكندرى .

٧ ـــ ديلاس اوليرى (ترجمة دكتور تمام حسن) ـــ الفكر العربى ومكانته فى التاريخ .

٨ ـــ القمص تادرس يعقوب ملطى ـــ آباء مدرسة الأسكندرية الأولون ـــ ١٩٨٠ .

٩ ـــ كتاب المتنوعات Stramata .

١٠ـــ يوسابيوس القيصرى ـــ تاريخ الكنيسة .

١١ـــ حبيب سعيد ـــ تاريخ المسيحية (الجزء الأول) .

١٢ـــ دكتور مراد كامل ـــ من دقلديانوس الى دخول العرب مصر (من كتاب تاريخ الحضارة المصرية ـــ الجزء الثانى) .

١٣ـــ القمص شنودة السريانى (الانبا يؤانس أسقف الغربية فيما بعد) ـــ الاستشهاد فى المسيحية ـــ ١٩٦٩ .

١٤ــ دكتور أسد رستم ــ كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ــ الجزء الأول ــ الطبعة الأولى .

١٥ــ دكتور جورج حبيب بباوى ــ المدخل الى اللاهوت الارثوذكسى ــ طبعة أولى ــ ١٩٨٢ .

١٦ــ دكتور سليمان نسيم ــ تاريخ التربية القبطية ــ طبع بدار الكرنك ــ القاهرة ــ ١٩٦٣ .

١٧ــ دكتور منير شكرى ــ أثناسيوس الرسولى ــ صفحة من تاريخ القبط ــ مطبوعات جمعية مارمينا العجايبى بالاسكندرية ــ ١٩٥٠ ــ صفحة ٦٥ .



البابا ديوســقورس
البطريرك الخامس والعشرون

(٤٤٤ ـ ٤٥١ م)

مهندس جورج باقى

مقدمـــة :

يعتبر البابا ديوسقورس البطريرك الاسكندرى الخامس والعشرون أحد ثلاثة آباء الكرسى المرقسى العظام من أبطال الإيمان فى العالم المسيحى بأسره : اثناسيوس وكيرلس وديوسقورس . فالأول اثناسيوس حامى الإيمان الذى ينفرد بلقب الرسولى ، والثانى كيرلس الأول الذى اشتهر بلقب عامود الدين ، والثالث هو ديوسقورس ــ وهو موضوع هذا البحث .

وقد عُرف بأنه بطل الأرثوذكسية العظيم الذى توج هامته بعض آباء الكنيسة الجامعة الأمناء فى مختلف العصور بألقاب جليلة عديدة نذكر منها بفخر واعتزاز إنه : الرجل الرسولى ، ومعلمنا ، وحامى وحارس الإيمان العظيم ، وشهيد الحق ، وشهيد المسيح الصادق ، والمجاهد الحقيقى ، والمعترف العظيم لأنه فى منزلة وكرامة الشهداء القديسين الأبرار ، لأنه تحمل مثلهم سائر العذابات والاضطهادات ولكن لم تسمح إرادة الرب بسفك دمه لأن رسالته لم تكمل بعد ..، وذلك اعترافاً من الكنيسة وآبائها بفضله وتقديراً منهم لنضاله البطولى ودوره القيادى فى قوة بصلابة وثبات حتى النفس الأخير للمحافظة على الإيمان السليم والمسلم لنا مرة من القديسين .

حياته الأولى :

ولو أن نشأته الأولى غير معروفة أصلا لكنه من المؤكد والثابت من أقواله وأعماله التى تشهد له ، ومن مدلول أسمه الذى اطلق عليه ديوسقورس ويعنى (رب الجنود) ، إنما يحمل فى معنى اسمه صفاته وجهاده لأنه إنما يدل دلالة

واضحة على أن نشأته الأولى بين احضان اسرة قبطية مسيحية بالروح والحق تخاف الله رب الصاباؤوت (أى رب المجد) وتخشاه ، وتعمل ما يحسن فى عينيه ويرضاه لأنها قد أرضعته لبن مبادىء المسيحية القويمة وفضائلها السامية . فكان منذ الطفولة يعرف الكُتب المقدسة القادرة أن تحكمه للخلاص (٢ تى ٣ : ١٥) فكان لهذه الرعاية الامينة أثرها المبارك فى تلك التنشئة المقدسة ، بل وهذا هو سر سمو حياته الروحية وسر عظمة شخصيته السوية العملاقة .

وُلد ونشأ الصبى ديوسقورس بمدينة الاسكندرية وكانت فى ذاك الوقت عاصمة الدولة السياسية والثقافية وأيضا للعالم ، ومنذ حداثته التحق بالمدارس التابعة للدولة الرومانية الحاكمة ، والتى كانت اليونانية هى لغتها الرسمية فى الدولة والمدارس والمجامع المسكونية لذلك اتقن ديوسقورس اللغة اليونانية كما أتقن أيضا اللغة القبطية .

وبعد سيامته شماساً التحق بمدرسة الاسكندرية المسيحية اللاهوتية التى أسسها مارمرقس كاروز الديار المصرية لدراسة العلوم اللاهوتية والتفسيرية والروحية والفلسفية ، وكان لهذه الدراسات أثرها الكبير فى اتجاهاته وكتاباته اللاهوتية والتفسيرية ، كما كان لتلك المدرسة اللاهوتية الكبرى دورها الفعال فى المجامع المسكونية فى القرون الثلاثة الأولى ، كما كان لها دورها الكبير فى إخصاب التقليد التفسيرى ، وفى إجتذاب فلاسفة عديدين الى الإيمان الجديد وتقديم آباء عظام للعالم المسيحى كان لهم أيضاً الفضل والسبق فى خلق جو من الروحانية الفائقة والمبادىء المسيحية السامية .

اختياره سكرتيراً للبابا :

هذا وأنه بفضل روح الله القدوس العامل فى حياته وما صار اليه من فضيلة ومعرفة وروحانية ...، فقد أحبه الجميع وذاع صيته لبلاغته وفصاحته وقوة اقناعه وحجته ، فقد سامه البابا كيرلس الكبير رئيساً للشمامسة ، وبعد ذلك اختاره ليكون سكرتيراً خاصاً له لمساعدته فى امور الخدمة والرعاية ، الأمور التى أهلته أن يتقلد عن جدارة منصب مدير المدرسة المسيحية اللاهوتية بالاسكندرية . وقد

صاحب القس ديوسقورس معلمه البابا كيرلس الى مجمع أفسس المسكونى الثالث المنعقد عام ٤٣١ م . وهكذا استمر يرقب عن كثب جهاد أبيه الروحى . ومدى أمانته وغيرته وحكمته ورسوخ إيمانه وقوة رجائه أمام أعداء الإيمان الهراطقة المبتدعين .

تنصيبه بطريركاً :

ولما انطلق البابا كيرلس الكبير بسلام الى مساكن النور للأبرار فى ٣ أبيب عام ١٦٠ ش الموافق ١٠ يولية عام ٤٤٤ م فقد أجتمع الآباء والأكليروس والرهبان والشعب على اختيار القديس ديوسقورس خلفاً له ، نظراً لما رأوه فيه من تبحر فى العلوم وما اتصف به من تقوى وغيرة مقدسة مع الشجاعة المتناهية فى اعلان الحق بقوة وثبات ، وذلك فى عهد ثيئودوسيوس Theodosuis الثانى (الصغير) امبراطور الشرق .

وقد تم تنصيب البابا ديوسقورس الخامس والعشرون على الكرسى المرقسى بمدينة الاسكندرية وذلك حسب الطقس القبطى الخاص بسيامة أب الآباء وراعى الرعاة .

وكما جرت العادة قديماً أن يتوجه البطريرك المختار بعد تنصيبه فى الإسكندرية إلى دير القديس مقاريوس لإقامة صلاة القداس الإلهى ثم يتبارك من اجساد الآباء القديسين .

الجو العام الذى ساد الكنيسة فى هذه الفترة

ما أن تبوأ البابا ديوسقورس الكرسى المرقسى بالاسكندرية حتى لمس صعوبة موقفه وادرك أن حمل نير البطريركية ثقيل وأن السُحب القاتمة ملبدة ..، فالتيارات الفكرية متباينة والخلافات والصراعات الدينية المذهبية مستمرة وتزداد عنفاً بين الدولة والكنائس المسيحية وبينها وبين اعداء الإيمان الصحيح الذين تألبوا عليه وتآمروا ضده فى كراهية وحسد وغيرة مرة ..، بهدف تشويه سمعته واضعاف مركزه وشأنه . وهكذا أمضى هذا البابا الاسكندرى فترة رئاسته (٤٤٤ــ٤٥١ م) فى

جهاد مضنى متواصل ، وصراع مرير ، وجدال حاد ، وتحدى سافر . وهو حزين وفى ضيق وآلام كثيرة وإهانات بالغة ، لما عاناه من ظلم وافتراءات كاذبة على شخصه وحتى على إيمانه ثم الحكم عليه بالنفى والعزل لا لشيء سوى تمسكه بالحق فى سبيل المحافظة على وديعة الإيمان الأقدس ، وانتهت المأساة فى مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ م بانقسام الكنيسة الواحدة الى شطرين . شرقية وعربية ، وما صاحب ذلك من معاناة وصراعات واضطهادات كان لها أسوأ الآثار على كيان المسيحية والمسيحيين .

ويجدر بنا أن نستعرض فى إيجاز تلك الظروف والأسباب والعوامل التاريخية والسياسية واللاهوتية السائدة فى تلك الفترة الحالكة . وهى أدق فترة من حياة الكنيسة المسيحية ، لكى يتسنى لنا أن ندرك معاً تلك الجذور العميقة لعلة هذا الانقسام الخطير والمرير والتى أدت الى هذا الانفصام فى الوحدة المسيحية والتى نلخصها فى النقاط التالية :

أولا : الظروف السياسية :

(أ) سوء أحوال الإمبراطورية الرومانية .
(ب) تدخل الملوك (الأباطرة) .
(جـ) منافسة الباباوات .
(د) الصراع والدسائس والمؤامرات .

(أ) سوء أحوال الإمبراطورية الرومانية :

إنه بموت الإمبراطور ثيئودوسيوس الكبير عام ٣٩٥ م وانقسام الإمبراطورية بين ولديه الشابين الضعيفى الشخصية والمسلوبى الإرادة غير الحازمين ، هو بداية إنهيار الإمبراطورية حتى توالت على روما غزوات برابرة الشمال من قبائل القوط والفاندال والهون وأمست روما لقمة سائغة للسلب والنهب .

والتاريخ يذكر كيف أن أحوال تلك الإمبراطورية قد ساءت لدرجة أنه فى أيام الإمبراطور ثيئودوسيوس تمكنت زوجته الإمبراطورة أفدوكسيا بدهائها من بسط

نفوذها فى الدولة وبتأثيرها أقنعت الإمبراطور بضرورة حضوره لمحاكمة البابا الإسكندرى ثيؤفيلس (٢٣) برئاسة بطريرك القسطنطينية الذى سرعان ما نقمت عليه لمناصرته للحق والفضيلة وأيضا وفى فترة رئاسة القديس ديوسقورس تمكنت بولخاريا Pulcharia الشقيقة الكبرى للإمبراطور الذى لم ينجب منذ أعتلاء العرش ونقضت عهد بتوليتها وأحبت القائد ماركيان Marcian وأصبح امبراطوراً للشرق ولذلك فقط أضحى مديناً لها بهذا الفضل ، ولضعف شخصيته وإرادته فقد تدخلت فى شئون الدولة والكنيسة بهدف رفع كرسى القسطنطينية ، وقد حقق لها رغبة أسقف روما لاون Leon بشأن عقد مجمع خلقيدونية ، وتحت الحاحها إعتمد أيضا الاساقفه المبعدين والسماح لهم بحضور هذا المجمع وبذلك تمكنت الأغلبية من نقض قرارات مجمع أفسس الثانى الذى كان برئاسة البابا الاسكندرى ديوسقورس توطئة للحكم عليه بالنفى والعزل والحرم .

(ب) تدخل الملوك (الأباطرة) :

وقد تدخل الاباطرة فى الأمور الكنسية واللاهوتية ، فقد أعان قسطنطين الملك الأريوسيين لزمن طويل ونفى البابا الاسكندرى اثناسيوس ، كما أن الأمبراطور ميركيان وزوجته بولخاريا تدخلا فى الأمور اللاهوتية والكنسية وكانا عونا لاسقف روما ضد ديوسقورس .. فقد تخلصت بولخاريا من رئيس الحجاب خريسيانوس باصدار الحكم بإعدامه ثم صارت تساند روما ضد الإسكندرية ويقول العالم الالمانى الويز كريللمير (Aloys Crillemeier) تحت الضغط المستمر من جانب الامبراطور ميركيان وافق الآباء على وضع صيغة جديدة ايمانية ..

ونظراً لتدخل السلطات المدنية الحاكمة فى شئون الكنيسة الدينية فقد اعتلى الكراسى الرسولية بالقوة ملكانيون (أى تابعين للملك أو الامبراطور) ويجمعون بين السلطتين المدنية والدينية فى نفس الوقت ، وهكذا يسجل التاريخ كيف أن الدولة الرومانية البيزنطية امعاناً منها فى اخضاع قبط مصر بالقوة أقاموا القواد العسكريين ابوليناريوس Apollonaris والمقوقس كبطاركة وحكاماً فى نفس الوقت لكى يديروا شئون الكنيسة القبطية . وقطعاً كان أمثال أولئك القواد المعينون

بطاركة ملكيين يضطهدون قبط مصر ، ويتصرفون فى الشئون الكنسية واللاهوتية بالقوة والتهديد وبمقتضى الحكمة الأرضية النفسانية والشيطانية .

كما أدى تدخل الملوك والأباطرة والرسميين والمدنيين فى شئون الكنيسة واختلاط السياسة بالدين الى محبتهم للعالم والى التنازع والصراع على السيادة العالمية الباطلة لتحقيق اغراض ومطامع شخصية ، فإنه لرغبة امبراطور روما الحد من نفوذ بابا الاسكندرية ، ونتيجة لمساعى اسقف روما ، فقد عقد الملك فى قصره بالقسطنطينية مجمعاً دعى اليه كثيراً من الأساقفة النساطرة المقطوعين ثم دعى إليه البابا ديوسقورس ، وهنا يذكر كتاب سنكسار الكنيسة القبطية القصة التالية :

« لما دعى الى المجمع الخلقدونى بامر الملك مرقيان ، رأى خلقا عظيما عددهم ٦٣٠ اسقفا . فقالوا له إن هذه الجماعة اجتمعت بامر الملك فقال [إن كان هذا المجمع بامر السيد المسيح فانا اجلس فيه واتكلم بما يتكلم به الرب على لسانى . وإن كان قد اجتمع بامر الملك فليدبر الملك مجمعه كما يريد . وإن رأى أن لاون بطريرك رومية اوجب للمسيح طبيعتين ومشيئتين من بعد الاتحاد انبرى لدحض هذا المعتقد الجديد . فقال ان المسيح واحد هو الذى دعى الى عرس الجليل كانسان وهو الذى حول الماء خمرا كاله ولم يفترق من جميع اعماله ،]فلم يجسر احد من اولئك المجتمعين فى المجمع أن يقاومه . وقد كان فيهم من حضر مجمع افسس الذى اجتمع على نسطور . واعلموا الملك مرقيان والملكة بلخاريا أنه لم يخالف امرا كما فى الامانة الا ديسقورس بطريرك الاسكندرية فاستحضراه هو واكابر المجمع من الاساقفة . ولم يزالوا يرددون القول بينهم الى آخر النهار . والقديس لم يخرج عن امانته فشق ذلك على الملك والملكة. فامرت الملكة بضربه على فمه فشق شطر لحيته .. ولما رأى بقية الاساقفة ما حدث لديسقورس وافقوا الملك لأنهم خافوا أن يحل بهم ما حل به فكتبوا خطوطهم واوجبوا على المسيح انه اله وانسان .. ولما علم ديسقورس بذلك ارسل فطلب الطومس الذى كتبوا فيه بزعم إنه يريد هو أن يكتب فيه ، فلما قرأه كتب فى اسفله بحرمهم وحرم كل من

يخرج عن الامانة المستقيمة . فاغتاظ الملك وامر بنفيه الى جزيرة غاغرا ونفى معه القديس مقاريوس اسقف ادكو . . .

وقد جرى عليه من اسقفها من الاستخفاف به والهوان ما لا يوصف لأنه كان نسطوريا ، .غير أن الله أجرى على يد القديس ديسقورس آيات وعجائب كثيرة عظيمة فاطاعوه كلهم وبجلوه وزادو فى اكرامه . وأما القديس مقاريوس رفيقه فى المنفى فقال له القديس ديسقورس أنت لك اكليل فى الاسكندرية ثم ارسله مع احد التجار المؤمنين الى هناك وفيها نال اكليل الشهادة » .

(جـ) منافسة الباباوات :

والتاريخ إنما ينبئنا الى أن الأنقسام الخطير فى الكنيسة إنما يرجع أساساً إلى دوافع كنيستى روما والقسطنطينية وإلى اتخاذ مواقفهما العدائية من كنيسة الأسكندرية وذلك لأمرين :

١ــ الحقد والغيرة من المكانة العظمى للبابا الاسكندرى بين سائر الكنائس المسيحية فى العالم أجمع .

٢ــ واطماع أساقفة روما المتناهية ورغبتهم التى لا حد لها فى السيادة العامة على الكنيسة المسيحية فى كل العالم مما أدى الى التنازع على السيادة اعتقاداً منهم أن هذا حق لروما فلا يحق أن ينازعها فيه أى منازع[١] .

« وحيث توجد الغيرة والتحزب هناك يكون التشويش وكل أمر ردىء » (يع ٣ : ١٦) ، ولا عجب أن تملك الحقد والحسد قلوب أسقف روما وأساقفة الشرق بأسرهم لأنه كان للكرسى المرقسى مكانته العظمى والمقام الأول والمركز الأعظم للعلوم المسيحية واللاهوتية بين سائر الكنائس فى العالم كله وأصبح كما شهد العلامة « دين ستانلى » (Dean Stanley) من انه (قاضى المسيحية فى كل العالم)[٢] ولأن آباء الاسكندرية هم الذين تولوا رئاسة المجامع المسكونية الثلاثة الأولى ولهم فيها الدور القيادى فى الجانب الروحى واللاهوتى المدافعين عن العقيدة والمرجع الوحيد للتأكد من سلامتها .

أضف الى ذلك ما كان للكرسى المرقسى الاسكندرى من عظم النفوذ إذ كان لهذا الكرسى الرسولى اكثر من مائة اسقفية مقسمة الى ستة اقاليم كنسية : الاسكندرية ــ مصر ــ ليبيا ــ الخمس مدن الغربية ــ ثم الحبشة والنوبة ، وحتى فى المسائل المدنية كان مركز رئيس كنيسة الاسكندرية قوياً ، وكان هذا المركز القوى يهدد ويتحدى سلطة الحكومة الامبراطورية بالقسطنطينية وانصارها(٣) .

والى يومنا هذا مازال اللاهوتيون ينطلقون الى أقوال وكتابات آباء كنيسة الكرسى الاسكندرى لكونها مصدراً مجيداً للتعرف على اللاهوتيات الكنسية الأولى وتعاليمها وعقائدها واتجاهاتها(٤) .

(د) الصراع والدسائس والمؤامرات :

وكان الصراع والدسائس والمؤامرات بين رجال القيصر ومندوبيه مستمر إما لضعف شخصية الأباطرة وعدم حزمهم ، وإما لأنهم قد تركوا لهم حرية التصرف دون مبالاة منهم للنتائج الوخيمة ..، وعلى سبيل المثال اذكر أن هذا الصراع قد أدى الى اعتقال روفينوس Rufinus المدير الفعلى لشئون المملكة ، وحل محله منافسه اترويبوس Eutropuis الخصى ورئيس الحجاب بالقصر الذى استطاع بدهائه أن ينجح فى ترويج الأميرة افدوكسيا بالقيصر ولذلك صارت مدينة له وأضحى هو الحاكم الفعلى للامبراطورية والذى قامت ايضا بتعيينه فيما بعد بطريركا ملكياً على الكرسى الاسكندرى بعد نفى البابا ديوسقورس وعزله ، وقد تمادى فى الشر وسلب أموال الكنائس والأديرة مما أثار عليه غضب القيصر والامبراطورة علاوة على غضب الشعب وامتعاضه حتى قتله اللصوص واحرقوا جثته .

وهكذا ازداد الصراع بين الكنيسة وبين رجال القيصر ومندوبيه حتى وصل الى قمته فى مجمع خلقدونية .

ولهذه الظروف التاريخية وتلك الأسباب والعوامل السياسية ساءت أحوال الامبراطورية الرومانية جداً وعمت الفوضى ودب الفساد واستشرى للدرجة القصوى الأمر الذى كان له آثاره السيئة على المسيحية والمسيحيين .

ثانيا   الظروف اللاهوتية

وكان للظروف اللاهوتية ايضا دورها الرئيسى فى خلق فجوة كبيرة بين الكنائس المسيحية · الاسكندرية ـــ بيزنطة وروما ، وذلك ايضا علاوة على تلك الظروف السياسية التى واجهتها وأحاطت بها كما اسلفنا القول ، ولأنه قد اندس بين صفوف الكنيسة المقدسة معلمون كذبة يدسون بدع هلاك وأنه يتبع تهلكاتهم الكثيرون (٢ بط ٤ : ١ ، ٢) ، والذين كانت غيرتهم غير مقدسة وليست حسب المعرفة (رو ٣ : ٢) ، وايضا لأنهم منساقون بتعاليم شخصية متنوعة (١ تى ٣ : ٢) .

ويرجع تفاقم الخلاف بين تلك الكنائس المسيحية الكبرى الى تعارض الاتجاهات الفكرية والعقيدية معارضة أساسية .

وقد ظهرت تلك الخلافات والصراعات اللاهوتية بوضوح فى تفسير نصوص الكتاب المقدس وخاصة فى تعليمهم عن طبيعة (Physis) السيد المسيح والتى يجدر بنا أن نقدم فكرة موجزة عن تلك الصراعات اللاهوتية خاصة بشأن بدعتى النسطورية والأوطاخية .

١ ـــ البدعة النسطورية :

ومع أن نسطور (Nestor) بطريرك القسطنطينية (٤٢٨ م) كان يعتبر أحد الآباء اللاهوتيين البارزين الذى أدرك التجسد بطريقة آبائية ، لكنه قد انحرف عن الإيمان الصحيح . ومضمون بدعته :

(أ) انه للسيد المسيح طبيعتين : طبيعة إلهية وأخرى انسانية ، وأن الطبيعة الإلهية لم تتحد بالإنسانية ولا يمكن أن تولد أو تتألم أو تموت . أما الطبيعة الانسانيه فهى منفصلة عن الذات الإلهية وأنها عرضة للآلام والموت .

(ب) كما علم نسطور ان السيدة العذراء هى ام المسيح الجسدانى فقط ، أى أنها ولدت (يسوع المسيح) الانسان فقط (خريستوكوس Christokos) وأنها

لم تلد كلمة الله المتجسد . ولذلك فإنه لا يصح ـــ حسب زعمه ـــ أن ندعى العذراء « والدة الإله » (ثيئوتوكس) Theotokos .

وهذه الهرطقة النسطورية لم تمت تماما بموته ، ولا بمجرد خلع ونفى الاساقفة النسطوريين من اتباعه نظرا لتمسك معلمى مدرسة الرها السريانية وتلاميذها بتعليم نسطور ونشاطهم فى نشر وترجمة مؤلفات مؤسسها ديودوروس الطرسوسى وثيودوروس الانطاكى استاذه ، واتخاذهم مدرسة أديسا Edessa اللاهوتية الشهيرة اكبر معقل لهم .

وفى القرن الخامس فى فترة رئاسة البابا ديوسقورس كان هناك تيارين متعارضين ، فبينما كان اسقف روما لاون يتظاهر بالعمل على تنقية الإيمان ، كان يحاول كسب النسطوريين فى جانبه ضد كنيسة الاسكندرية ، إذ كانوا يلجأون اليه وكان ينتصر لهم بالرغم من ضلالهم ، كما اعاد لاون الأسقف المشجوب ثادرادئس إلى كرسيه وسمح له بالدخول الى مجمع خلقيدونية بقصد مناوءة الكرسى الاسكندرى .

وبينما كان أيضا اساقفة القسطنطينية وقورش والرها يناصرون المذهب النسطورى المخالف للإيمان السليم ، كانت كنيسة الاسكندرية وسوريا وأرمينيا تصارع ضد النسطورية التى كانت قد انتشرت بصورة واسعة خاصة فى القسطنطينية ولاتزال للآن كنيسة نسطورية فى ايران والعراق .

٢ــ البدعة الأوطاخية :

وكان القس أوطيخا Eutycha عام (٣٧٨ــ٤٥٤ م) رئيس أحد اديرة القسطنطينية الغيورين البارزين الذى قاوم النسطورية بعنف حتى انحرف وسقط فى هرطقة اخرى جديدة إذ انه ظل يدافع عن لاهوت السيد المسيح حتى انكر ناسوت السيد المسيح بكونه واحداً مع انسانيتنا من ذات جوهرنا . فقد نادى أوطيخا فى بدعته بوجود طبيعتين قبل الاتحاد وصارت واحدة بعده ، لأن الطبيعة اللاهوتية ـــ حسب زعمه الخاطىء ـــ قد ابتلعت الناسوتية ، وضاع الناسوت

تماماً ، إذ أن هذا المبتدع أدعى أن السيد المسيح لم يتخذ من الحشاء البتولى جسداً مماثلاً بجسدنا ولكنه مرّ به مروراً خيالياً .

وتعتبر الكنائس الخلقيدونية مجمع خلقيدون هو المجمع المدافع عن الإيمان ، أما البابا الاسكندرى ديوسقورس مع الكنائس غير الخلقيدونية قد رفض هذه البدعة وتقبل التعبير الكيرلسى « طبيعة واحدة لإله الكلمة المتجسد » ، وهكذا نرى كما قال أحد الآباء : « يعتقد كل جانب أنه بتعبيره وحده يقدر أن يحمى الكنيسة من الهراطقة » .

ولكـن ...

ما هو معتقد كنيستنا الأرثوذكسية الصحيح بشأن طبيعة السيد المسيح !!...

لقد أعلن البابا الاسكندرى كيرلس الأول عامود الدين فى مجمع أفسس المسكونى الثالث سنة ٤٣١ م إيمان الكنيسة الصحيح بشأن طبيعة السيد المسيح بتعبيره « طبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد » وفق النصوص الكتابية ومؤكداً أن :

١ــ إن الله الكلمة ذاته هو الذى صار انساناً .

هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد (يو ٣ : ٦) .

عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد (١ يو ٣ : ١٦) .

فى البدء كان الكلمة وكان الكلمة الله ــ والكلمة صار جسداً (يو ١ : ١،١٤) . وكلمة صار Egeneto تدل دلالة خاصة على الطبيعة الواحدة وأنه أخذ لنفسه ناسوتاً حقيقياً كاملاً .

٢ــ وأن كلمة الله المتجسد أخذ لنفسه ناسوتاً حقيقياً كاملاً من السيدة العذراء والدة الإله (الثيئوتوكوس) .

هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعون اسمه عمانوئيل (الله معنا) (مت ١ :٢٣).

القدوس المولود منك يدعى ابن الله (لو ١ : ٢٥) .

فمن اين لى هذا أن تأتى أم ربى الىّ (لو ١ : ٤٣) .

٣ـــ ويؤكد البابا كيرلس أن يسوع المسيح الذى وُلد وصُلب وقام هو بالحقيقة ابن الله المتجسد الذى خلصنا بدمه المسموك عنا

احبنا وارسل ابنه كفارة لخطايانا (١ يو ٤ : ١٠) .
الذى لنا فيه الفداء وبدمه غفران الخطايا (كو ١ : ١٤) .
لأنهم لو عرفوا لما صلبوا رب المجد . (١ كو ٢ : ٨)

ومن تشبيهات البابا كيرلس للإتحاد الأقنومى بين اللاهوت والناسوت لكى ندرك الى حد ما بعقولنا المحدودة وحواسنا المحسوسة سر الله الفائق غير المحسوس وغير المحدود وذلك خلال مثلين واقعيين :

(أ) كإتحاد النفس والجسد : فالنفس الملائكية اللطيفة الناطقة العاقلة تتحد مع الجسد الترابى الكثيف فى الطبيعة البشرية الواحدة ، ومع ذلك لم تتغير النفس عن طبيعتها فصارت جسداً ولا الجسد صار نفساً وإنما صار فى النفس مع الجسد طبيعة واحدة وانساناً واحداً .

(ب) وكإتحاد النار بالحديد مع اختلاف طبيعتهما . فالحديد لم يعد ناراً ولا النار صارت حديداً ، وكما أن طرق الحديد المحمى بالنار يقع على الحديد وحده دون النار مع كونها متحدة به هكذا آلام الصليب من جلد وطعن وموت .. قد وقعت على الجسد فقط .

لذلك فكنيستنا الارثوذكسية القويمة الإيمان تؤمن بطبيعة واحدة للأبن الكلمة المتجسد لأنه واحد مع أنه صار انساناً وجسداً ، كما قال البابا عامود الدين فى هذا الصدد : (اننا لا نعرى الناسوت من اللاهوت ولا نعرى الكلمة من الناسوت لأن ذلك الاتحاد السرى الذى لا يمكن تفسيره ، بل نعترف بأن السيد المسيح الواحد من شيئين قد اجتمعا الى واحد مؤلف من كليهما لا بهدم الطبيعتين ولا باختلاطهما بل باتحاد شريف الى الغاية بوجه عجيب) .

هذا هو الإيمان القويم الذى نادى وعلم به الآباء القديسون اثناسيوس وكيرلس فى المجامع المسكونية الثلاثة الأولى وتمسك به البابا ديوسقورس بطل الإيمان وحارسه

★ ★ ★

ولما انعقد المجمع المسكونى فى خلقيدونية سنة ٤٥١ م بحضور الامبراطور مركيان والامبراطورة بلخاريا كان البابا الاسكندرى جالساً الى جانبهما الأيمن ، وحدث أنه بعد إنتهاء الامبراطور من كلمته ، فقد اعترض نواب اسقف روما لاون على جلوس البابا الاسكندرى فى المقدمة بإدعاء أنه قد دعى للمجمع كمتهم وطالبوا بجلوسه فى صف المتهمين ، مما يقطع بأنه هناك مؤامرة تدبر ضد الإيمان كما ثبت ذلك فضلا فيما بعد خلال ما دار فى جلسات هذا المجمع المتعددة من جدال ومؤامرات إنتهت بإدانة بابا الاسكندرية رغم براءته منها .

وفى هذا المجال نسرد موجزاً لتلك الإدعاءات الملفقة ضده لإتهامه لتبرير المجمع فى حالة إدانته واصدار الحكم عليه بالعزل والنفى ، وذلك فى ضوء الوثائق التاريخية من محاضر جلسات أعمال هذا المجمع المسكونى والموقع عليها من الآباء الحاضرين ، وبهذا يمكن الوصول لمعرفة مدى صحة هذه الاتهامات أو مدى مجافاتها للحق والحقيقة هى وليدة الفحص والاستقصاء ، بأمانة وأخلاص وأنه ليس خفياً الا وسيظهر ..

وتتلخص الاتهامات الموجهة ضد البابا ديوسقورس فى الأمور التالية :

١ــ عقد مجمع مسكونى دون إذن من اسقف روما :

لقد اعتبر لاون اسقف روما مجمع أفسس الثانى المنعقد برئاسة البابا ديوسقورس غير قانونى لأنه لم يسمح ويأذن بعقده ، ومما يدحض هذا الاتهام الباطل انه ليس لأسقف روما ولا لأى أسقف آخر مطلقاً حق دعوة انعقاد المجامع المسكونية لأنه كما هو ثابت ومعروف ان الامبراطور هو وحده صاحب هذا الحق الشرعى . ولو كان لأسقف روما هذا الحق كما يدعى ، فلماذا طلب هو من الامبراطور بالحاح شديد عقد مجمع مسكونى للنظر فى عدم قراءة رسالته (الطومس) !!!

ثم أن الامبراطور ثيئودوسيوس الثانى هو الذى وجه الدعوة بعقد هذا المجمع الى اساقفة العالم المسيحى ومن بينهم اسقف روما والبابا الاسكندرى الذى اصدر له مرسوماً ملكياً بتولية الرئاسة الأولى والسلطة على المجمع مع اثنين من المستشارين وهما أسقف أورشليم وأسقف قيصرية كبادوك ، كما يتضح معه بطلان هذا الاتهام الذى لا أساس له من الصحة .

٢ــ واتهم بانحيازه لعقيدة اوطيخا المبتدع :

وهذا اخطر الاتهامات لأنه يمس عقيدته وإيمانه وهو أعز ما يملك وما كان عليه حريصاً كل الحرص ولو قطعت يده وسفك دمه كما أعلن فى اقواله المأثورة . وسبب هذا الاتهام أن أباء مجمع أفسس الثانى وعلى رأسهم البابا الاسكندرى قد قرروا تبرئة اوطيخا وإعادته الى درجته وديره ، وذلك بناء على وثيقة الاعتراف المقدمة والموقع عليها منه بما يفيد تمسكه بإيمان المجامع المسكونية الثلاثة الأولى .

ولو كان اوطيخا مخادعاً وغير صادق فى اعترافه الذى سجله ووقّع عليه ، واظهر غير ما يبطن فالمسئولية فى هذه الحالة إنما تقع عليه وحده ، ويكون قد كذب على الله وروحه القدوس .

أضف الى ذلك انه لا مجال لاتهام القديس ديوسقورس فى إيمانه خاصة وأنه طالما أعلن فى المجامع المسكونية ــ فى قوة وصراحة ــ وبحضور الإمبراطور والآباء فى مجمع خلقيدونيا قوله الواضح (أنه لا يمكن لاوطيخا ولا لغيره أن يزحزحنى عن الإيمان الذى تلقنته من آبائى) ، ولما سألوه (وما هو حكمك على اوطيخا لو أنكر صحة الإيمان المُسَلّم والموقع عليه فيه ؟) أجابهم على الفور (اذا انكر الإيمان يكون قد انحرف عن إيمان الكنيسة ، فهو لا يستحق العقاب فقط بل هو جدير بأن يحرق بالنار . وهذا أمر لا يبدو مستغرباً ، فإنه لأجل الإيمان احتمل لطمات الامبراطورة على فكه حتى اقتلعت ضرسين ، كما احتمل تهجم رجال القصر عليه بالضرب ونتف شعر لحيته وبكل صبر وثبات جمعها وأرسلها إلى ابنائه بالاسكندرية وهو يقول لهم بفخر « هذا هو ثمرة جهادى لأجل الإيمان » .

٣ـ واتهم ايضا بالاستبداد والضعف وانه فرعون عنيد :

(أ) يفرض ارادته بالقوة فى القضايا المعروضة :

ويكفى لدحض هذا الافتراء مجرد الاطلاع على محاضر اعمال مجمع افسس الثانى كما هو مثبت فى كتاب تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية عن مجمع أفسس مكتبة الفاتيكان للراهب فرنسيس ماريا والمطبوع فى روما عام ١٦٩٤ م .

فإن محاضر اعمال المجمع تدل على عدم انفراد القديس باصدار القرار بل كان يريد المناقشات بروح ديمقراطية تتيح الفرصة وكامل الحرية للأعضاء لإبداء الرأى ، وأنه لثاقب نظره ومدى حرصه ، كان لا يسجل امراً إلا بعد الموافقة بأخذ الأصوات ، وأنه ما كان يصادق على أى حكم بتوقيعه إلا اخيراً وبعد أن يكون قد صادق أولا على امضاءات جميع اعضاء المجمع التى بمحاضر الجلسات التى كان يسجلها الكاتب الخاص لكل اسقف فى نسخته .

(ب) وارغامهم على التوقيع على محاضر بيضاء :

وهو ادعاء غير معقول ولا مقبول حدوثه مع الآباء اعضاء المجمع المائة والثلاثين . وإن كان بعض الأعضاء الموالين للامبراطور ولأسقف روما فإنهم قد ادعوا التوقيع مكرهين تحت ضغط وتهديد مندوبى الامبراطور ، وبإنكار اقوالهم السابق ادلائهم بها والتى سجلها كاتب كل اسقف فى نسخته أو بانكار التوقيع أصلاً كما فعل اسقف سلوقيا للتنصل من موافقته على شجب المبتدع فلابيانس بطريرك القسطنطينية ..

فإن البابا ديوسقورس امام هذا التلاعب الصادر من رعاة ائتمنوا على خلاص النفوس ، قد وقف بحزم وصلابة أمام هذا الاعتراف من اجل سلامة الإيمان ، وهذا التمسك الشديد لا يمكن اعتباره عنفاً بل غيرة « وحسنة هى الغيرة فى الحسنى » . الأمر الخطير الذى حدا بالبابا الاسكندرى أن يقف كالمعمدان ـــ بصوته الصارخ ـــ يدوى فى المجمع ، ينبه ويسخر ويوبخ اولئك الاعضاء غير الامناء بقوله لهم :

ـــ اذا كانوا ينكرون كل هذه الاعترافات الصحيحة فليقولوا إذ سا [illegible] نحن حاضرين

ـــ لقد خفت أن تعلن إيمانك مراعاة لهم ، فخفت الصلاح وأهنت الإيمان ، ولا تعلم أن الإيمان لا نفاق فيه

ـــ المسيحى لا يخاف . اوقدوا النار ونحن نعلمكم كيف يموت الشهداء

وكان لهذا التوقيع أثره الحسن فى نفوس اساقفة الشرق الذين جاءوا للبابا ديوسقورس نادمين قائلين له امام الجميع ثلاثة مرات « اخطأنا ونطلب الغفران » ولذلك صدق قول القديس ديوسقورس أن الامر يتعلق بجلال الإيمان الذى يفترض الشجاعة والمعرفة معاً .

٤ـــ كما اتهم بعدم قراءة طومس لاون (رسالته) فى المجمع .

ويكفى أنه قد شهد اسقفا اورشليم وانطاكية واقرا بأن ديوسقورس أمر بقراءتها مرتين وأنه قد ذكر اسمه بكل محبة واحترام ملقباً إياه (مُحب الله رئيس اساقفة روما) ، غير أن رئيس الكتبة قال انه لا تزال لديه مراسيم ملكية يجب قراءتها أولا ، وبعد ذلك لم يذكره أحد برسالة لاون

هذا مع العلم أنه لما عرضت هذه الرسالة فى مجمع خلقيدونية وتم قراءتها تردد الأساقفة فى توقيعها خشية وضع تحديد جديد للإيمان ، واقترح القضاة الاكتفاء بما حدده الآباء بينما طالب البعض الآخر بمهلة للتفكير . واخيرا تم الاتفاق على امهالهم خمسة أيام . ولكن وتحت ضغط القوة تم توقيع الاساقفة على الرسالة وكان كثيرون منهم يبكون . قارنوا هذا الخضوع والضعف بموقف البطل المناضل . والجدير بالذكر والفخر انهم لما قدموا الترجمة اليونانية للطومس الى السابا ديوسقورس رفض التوقيع عليه من أجل ىسطوريته وقال عبارته الشهيرة المأثورة (لو قطعت يدى وسال دمها على القرطاس فلن اوقع)

٥ـــ كما أن المجمع يدين ديوسقورس لدعوته ولم يحضر متعمداً :

وهذا ايضا ادعاء وافتراء ، فالحقيقة والواقع الأليم أن القديس منعوه بالقوة من الخروج ، إذ قد حبسوه فى بيت ما وأقاموا عليه حراسة شديدة مسلحة يمنعوه بالقوة من حضور جلسات المجمع حتى يخلو لهم الجو وحتى لا يقع الأعضاء تحت تأثير أقناعه وقوة شخصيته ، ومن اجل هذا اسرع الجميع بالحكم على القديس بإدانته وحرمه متمثلا بقول السيد المسيح « ومن لا يسمع من الكنيسة فليكن كالوثنى والعشار (مت ١٨ : ١٧) .

★ ★ ★

ما هو موقف كنيستنا القبطية الارثوذكسية من المجمع الخلقيدونى !!!

إن كنيستنا القبطية الأرثوذكسية مع الكنائس غير الخلقيدونية لا **تعترف** بهذا المجمع غير القانونى وترفض قبول حكمه وحرمه الباطل للاسباب الآتية :

١ـــ الهيئة التى اصدرت الحكم لا تمثل ابداً مجمع مسكونى لعدم دعوة وحضور اساقفة العالم المسيحى .

٢ـــ وبجلسة غير قانونية حيث تم انعقادها قبل الموعد المحدد بغرض عدم حضور القضاة المدنيين ـــ ممثلى الدولة ـــ رغم **احتجاجهم** واخطارهم بعدم قانونية الجلسة المنعقدة فى غيابهم دون جدوى .

٣ـــ والحكم صدر غيابياً مع تعمد المسئولين عدم حضور البابا الاسكندرى وهو المدعى عليه وحرمانه بالقوة من حق الدفاع عن نفسه قانوناً .

٤ـــ ولم يستخدم المجمع الحرمات الاثنى عشر للبابا كيرلس ضد نسطور ، بل على النقيض سمح لأسقف قورش **ثيئودوريت** وهيبا اسقف الرها النسطوريين والمقطوعين بحضور جلساته بعد اعادتهما الى عملهما بينما دين نسطور نفسه **كهرطوقى** .

٥ــ جاء في قرار تجريد المجمع للبابا الاسكندرى انه اقترف ذنوبا عديدة دون ايضاح هذه الذنوب ودون التحقيق فيها بعد التثبت من مدى صحتها من عدمه .

٦ــ ثم أن الاعضاء الذين افتروا على ديوسقورس بإدعاءات كاذبة ، قد تراجعوا واقروا بخطئهم امام المجمع بعدم صحتها وطلبوا منه ثلاث مرات الغفران بقولهم له (اخطأنا ونطلب الغفران) .

٧ــ عدم تعرض المجمع للآباء الموالين فى الإيمان لديوسقورس مما يدل على قصد المجمع كله إنما فقط هو التصدى للبابا الاسكندرى فأصبح انه كما قال جيتى Guettee انه فى قرارات المجمع من العبارات قد تؤدى الى التردى فى بدعة نسطور المحروم. مما يدل بوضوح ويقطع بأن البابا الاسكندرى القديس ديوسقورس والمفترى عليه قد أدين لا لهرطقة عقيدية، وإنما لظروف سياسية واهواء عالمية ومطامع شخصية، اذ كان اسقف روما ينظر الى الاسكندرية كعائق فى تحقيق سلطته البابوية على الكنيسة فى العالم كله.

★ ★ ★

الى المنفى :

وأمام جسارة البابا ديوسقورس وتحديه الملك بتوقيعه على طومس لاون يحرم المجمع وكل من سانده ، فقد اغتاظ الملك جداً وامر بنفيه الى جزيرة كانغرا Cangra بآسيا الصغرى فى حراسة مشددة ، وقد رافقه رئيس الشمامسة بطرس وسكرتيره الشماس ثيئوبسطوس الذى سجل تاريخ حياته وجهاده من الخمس مدن التى لجأ إليها واختفى بها حيث أن الهراطقة عندما علموا بنياحة ديوسقورس رفعوا عليه عند الملك أن أحوال الكنائس عنده للقبض عليه .

ويروى لنا الشماس ثيئوبسطوس فى الرسائل التى دون بها سيرة وجهاد ابيه وتعاليمه وارسلها لأبنائه بالاسكندرية ، انه عند وصولهم الى الجزيرة ، توجهوا بهم الى اسقف الجزيرة النسطورى الذى قابل البابا وهو جالس وتركه واقفا باعتباره

متهماً — امتهانا بكرامته ومنزلته — وظل القديس هكذا فى منفاه خمس سنوات صابرا متحملاً كل استهزاء وإهانات مع معاملة سيئة من النساطرة الجاحدين واليهود المتعصبين والوثنيين المعاندين ، كارزاً لهم بتعاليمه وقدرته واحتماله وبالمعجزات التى اجراها الرب على يديه حتى اجتذب منهم نفوساً عديدة للإيمان بالسيد المسيح ، ونذكر من بين تلك المعجزات :

- لما ضربه أحد الجنود لكمة شديدة حتى سال منه الدم ، اسرع الشماس ثيئوبسطوس بالتقاط هذه الدماء ورشم بها يد رجل اعصم تصادف وجوده عند القديس لنيل بزكته فللحال استقامت يده ، وظل يحدث الجميع بمعجزة شفائه .

- وجاء الى القديس تاجران ليجرباه إن كان هو رجل الله حقاً !!!، فادعى الاول أن يده مشلولة ، والثانى انه مقعد الرجل ، والتمسا الشفاء والعطاء ، فعلم القديس بالروح كذب ادعائهما وقال لهما (كإيمانكما بالمسيح يكون لكما) فقالا نحن يهوديان وليس لنا أمانه بالمسيح ، وفى الحال شلت يد الأول وعوجت رجل الثانى ، ولما لم يستطيعا السير صرخا معلنين ندامتهما وإيمانهما بالسيد المسيح اله القديس ديوسقورس فنالا نعمة الشفاء فوراً وظلا يبشران اهل الجزيرة بالسيد المسيح وفرقا اموالهما على الفقراء والمساكين .

- وجاء أيضا فى المخطوطات(٤) انه لما وصل القديس الأنبا شنودة رئيس المتوحدين للجزيرة لزيارة القديس ، كان رئيس المتوحدين راكبا على السحاب ، واذا برجلى البابا ديوسقورس تغرق فى المياه فاخرجها من الحذاء ، ولما جلسا وضعها بجانبه وجلسا يتحدثان بعظائم الله ، وكان احد اصدقاء رئيس المتوحدين والموجود بالجزيرة مريضا بالنقرس فى رجليه وامشاطها معوجة وملتصقة عند المقبض ، قال فى نفسه بإيمان أن هذا حذاء قديس وكما مشى بها ، انا اؤمن انه لو التصق هذا الحذاء برجلى فإنه يزول المرض والألم ، وبهذا الإيمان الصادق امسك بالحذاء كمن ينفض عنه

الغبار ، واسرع فى وضعه برجليه . فللوقت استقامت عروقه كمثل طفل صغير ومشى وصار يقفز وهو يبارك اله القديس ديوسقورس الذى صنع عجائبه فى قديسيه ، وشاع خبر هده المعجزة فى ارجاء الجزيرة .

وايضا ــ كما جاء فى المخطوط ــ ان اسقف الجزيرة النسطورى المعاند الذى طالما استهزء بالقديس وتعنت حتى فى اعطائه وتلاميذه ارغفة الخبز والقوت اليومى ، قيل انه اراد مرة الدخول الى الكنيسة والصعود الى المذبح لإقامة صلاة القداس كعادته ، وإذا به يرى ملاكا ممسكا بسيف مسلول ليهلكه ، فهرب الاسقف الى خلف الكهنة الذين لم يروا شيئاً ولكنهم سمعوا فقط صوتاً يقول للأسقف (لماذا تجاسرت بالدخول فى هذا الموضع المقدس. ولم تتب) !!! (لقد كنت مزمعاً اهلاكك حينما كنت تشتم رئيس الاساقفة كيرلس ، لولا أن البابا ديوسقورس منعنى فى السر قائلاً لى دعه الآن) وأمام انذار الملاك وصوته مازال يدوى ، اسرع هذا الاسقف النسطورى المعاند الى المجىء للقديس ديوسقورس ساجداً خاشعاً بتدامة وتذلل وانسحاق تام واعلم القديس بما رآه وما سمعه من الملاك ، واستحلفه بحق الروح القدس الساكن فيه ، الا يجازيه بشدة ، وأن يتحنن على ضعفه، فعرفه القديس ديوسقورس أن ما حدث له من أجل الشتائم للبابا كيرلس الاسكندرى عامود الدين وتعاليمه، وطلب من هذا الاسقف أن يحرم نسطور ورسالة لاون والآباء الموالين له فاعترف ووقع بما يفيد ايمانه بالمعتقد السليم.

غروب بهيج ...

ولما ابتدأ النهار أن يميل ، وقاربت شمس حياة القديس ديوسقورس على المغيب ، رأى فى رؤيا أن معلمه البابا كيرلس ومعه جماعة من البطاركة قد اعلمه انه سيمرض ويتنيح بعد شهرين وستة أيام ، وطلب منه أن يُجلس ابنه **تيموثاؤس** على الكرسى المرقسى خلفا له ، وفى الحال قام بتنفيذ ذلك ، وفعلا ابتدأ **يمرض** ، وفى الوقت المحدد فعلا والسابق اعلانه له فى الرؤيا ، اسلم القديس البابا

ديوسقورس وديعته فى الساعة الحادية عشر من ليلة السابع من شهر توت سنة ٤٥٧(*) وانطلقت روحه الطاهرة بسلام ، بعد أن جاهد الجهاد الحسن واكمل السعى وحفظ الإيمان ، واخيراً وُضع له اكليل البر الذى يهبه الرب الديان العادل للذين يحبونه (٢ تى ٤ : ٨) .

المراجـــع :

(١)،(٢) أ.ل. بوتشر : كتاب تاريخ الأمة القبطية وكنيستها .

(٣) دكتور منير شكرى : أثناسيوس الرسولى ـــ جمعية مارمينا العجايبى بالاسكندرية ـــ ١٩٧٨ ـــ صفحة ٢٤ ، ٢٥ .

(٤) مخطوط رقم ٥٩/٦٥٤ تاريخ ، مخطوط رقم ٤٠/٦٠٨ تاريخ ، مكتبة البطريركية بالأزبكية .



(*) وفى مثل هذا اليوم سنويا ـــ ٧ توت .. تعيد الكنيسة بتذكار نياحة البابا ديوسقورس

البابا بنيامين الأول

البطريرك الثامن والثلاثون

(٦٢٣ م ــ ٦٦٢ م)

دكتور مينا بديع عبد الملك

الحالة السياسية فى البلاد :

كانت البلاد فى ذلك الوقت مطمعاً للغزاة الذين كانوا مستبدين . فيذكر المتنيح القس منسى يوحنا راعى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بملوى فى كتاب تاريخ الكنيسة القبطية انه فى زمن تولى فوقا أو فوكاس Phocas كرسى القيصرية قام ضده هرقل والى افريقية قاصدا الاستقلال بحكم مصر فناصره المصريون على فوقا لاسيما اهالى نقيوس الذين اعترفوا بحكم هرقل عليهم وساروا اليه تحت رئاسة اسقفهم ثيوذوروس ووكيله القس مينا . ولكن جيش هرقل هُزم أخيراً وأسر الأسقف ووكيله فرفعا الكتاب المقدس بأيديهم ليعفوا عنهما ولكن بعض انصار فوقا اتهموهما بكسر رأس تمثال لملكهم كان بنقيوس فقطع قائد جيش فوكاس رأس الأسقف وعذب وكيله بالجلد بالسياط الى أن دفع ثلاثة آلاف قطعة من الذهب فدية ولكنه مات بعد يومين من اطلاقه من شدة الم الضرب . ورفع القائد يد القساوسة على يد الذين تظاهروا بالميل لهرقل فجلد كثيرين منهم وقطع رؤوس الباقين .

غير أن هرقل عاد فشد ازره وهجم على الاسكندرية وقام المصريون بأسرهم جميعا. ثم علم قائد جيوش هرقل بمصير جيشه من راهب بسمنود يدعى ثاوفيلس، واستطاع القائد أن يفوز بجيش فوقا واستتب المُلك لهرقل فى مصر سنة ٦١٠م .

وبالرغم من معاناة الشعب المصرى من البيزنطيين الا أن الكارثة زادت بوصول الفرس الى البلاد بعد أن اتموا فتح بلاد الشام وأخذوا خشبة الصليب الى بلادهم

فى سنة ٦١٥ م ، وفى مصر تمكنوا من الاستيلاء على انحاء القطر وهجموا على الكنائس والأديرة وعاثوا فيها فساداً . وكانت نزعتهم الى التخريب عنيفة الى حد أنهم كانوا يخربون لمجرد التخريب . وأول هذه الأعمال التخريبية كان انقضاضهم على الاديرة المتاخمة للاسكندرية وقد بلغ عدد الأديرة التى أخربوها بضواحى الاسكندرية ٦١٠ ديراً كان يسكنها رهبان وراهبات بالإضافة الى تدمير اديرة الرهبان بوادى النطرون . ثم أعلن كسرى — ملك الفرس — فى الاسكندرية الأمان وبعد ذلك نادى جنده فى انحاء المدينة بأن الملك يرغب فى الاجتماع بالرجال الذين تتراوح اعمارهم ما بين ثمانية عشر سنة وخمسين سنة مدعيا بأنه يريد ان يتفاهم معهم على ما فيه خيرهم وعين لمقابلتهم ساحة فى خارج المدينة . فلبى ثمانون الفا من الرجال دعوته واجتمعوا فى الساحة ولم يكادوا يستقرون فى اماكنهم حتى أحاط بهم الجيش وسلط عليهم السيوف فقتلهم جميعهم .

على أن هذا الغدر المروع لم يشبع شهوة الفرس للتخريب ، فقد كان ملكهم كسرى أو خسرو Chesroes على رأس جنده يدوس الزرع بسنابك الخيل فيفتك بها . ثم رحل الى الصعيد وكان فى مدينة نقيوس قوم دسوا اليه بأن الرهبان الذين فى الجبال والمقابر وعددهم سبعة آلاف راهب يملكون خيرات جزيلة فأرسل جيشه ليلاً وأحاط بهم وفى الصباح أمر بقتلهم جميعاً . وهكذا سعى الفرس الى قتل الناس وهدم المبانى وإبادة البهائم والزروع فلم ينج من فتكهم حى ولا جماد .

ولم يكتف هذا الملك الغادر بسفك الدماء البريئة بل اراد أن يتدخل فى الشئون الكنسية رغم كونه من عباد الشمس . وذلك انه اعلن المسيحيين فى جميع الاقطار التى غزاها بانهم لن يحظوا بحياة آمنة ما لم يعتنقوا العقيدة النسطورية (التى تنسب الى نسطور وقد دحضها البابا كيرلس الأول عمود الدين البطريرك ٢٤ فى المجمع المسكونى الثالث المنعقد بأفسس سنة ٣٢١ م وحضره ٢٠٠ أسقفاً) . فرفض المصريون الأدعان لهذا الحكم التعسفى وآثروا أن يلاقوا حتفهم فى سبيل المحافظة على إيمانهم الارثوذكسى من أن يتردوا فى هاوية البدعة الوخيمة .

وقد ظل الفرس يضطهدون المصريين أضطهادا وحشياً مدى عشر سنوات (٦١٦ــ٦٢٧ م) ، كان هرقل فى ذلك الوقت مشغولا بتوطيد ملكه على جميع المملكة الرومانية ولما تم له ما اراد حول وجهه نحو مصر واستطاع فعلاً أن يقهر الفرس وأخرجهم من الديار المصرية صاغرين وطاردهم حتى حدود بلادهم ثم أعاد خشبة الصليب التى حملوها معهم من بلاد الشام الى مكانها فوق قبة كنيسة القيامة فى سنة ٦٢٨ . ولكن لم يكد يستقر المقام به حتى عاود سياسة البطش والفتك . ففرض على المصريين دخيلاً وطرد بطريركهم الشرعى البابا اندرونيقوس وأضطهد جميع الذين لم يقبلوا الاذعان لصنيعته .

وتذكر الاستاذة الدكتورة نعمات أحمد فؤاد فى كتاب شخصية مصر : لقد حاول الرومان التدخل فى عقيدة مصر المسيحية أيام وثنيتهم فقاتلتهم وحين دانوا بالمسيحية وحاولوا التدخل فى الطقوس والعبادات قاومتهم وتمسكت برأيها فى هذا ... وكان لمصر كنيستها الخاصة بها وبطريركها المنتمى اليها . مصرت مصر المسيحية واستخرجت منها نسختها الخاصة : القبطية .

نشأة البابا بنيامين :

كان بنيامين من اهالى بلدة تدعى برشوط (تبع النبتة بمركز كفر الدوار ، وقد خربت من زمان بعيد) التابعة لمحافظة البحيرة ، من عائلة اشتهرت بالثروة الكبيرة والنفوذ الواسع مما ساعد هذا الأب البطريرك فى ما قام به من الأعمال العظيمة لخير الكنيسة . ترهب هذا الأب عند شيخ قديس يدعى ثاؤنا بدير القديس قبريوس غربى مدينة الاسكندرية ، رباه بخوف الله حتى برع فى العلوم الروحية وبلغ درجة فائقة فى القداسة وكانت اكثر قراءته فى انجيل يوحنا حتى حفظه ، ويقال أنه رأى فى احدى الليالى فى نومه رجلاً فقيرا وقف به وقال له : (افرح يابنيامين الحمل المتواضع والراعى معاً الذى يرعى قطيع المسيح) . فأضطرب مما سمع وأخبر به معلمه فأفهمه أن هذا صوت المجرب ليقوده إلى الكبرياء ثم قال له أن لى خمسين سنة فى هذا الدير ولم أرى شيئاً مثل ذلك .

غير أن بنيامين كان يتزايد كل يوم فى الفضيلة حتى كان وجهه يتلألأ كوجه ملاك ولكثرة إعجاب معلمه به أخذه ومضى به الى البابا اندرونيقوس البطريرك السابع والثلاثون وشرح له حاله فطلب البابا أن يقدمه اليه فلما شاهده رأى نعمة المسيح عليه فسأله عما شاهد فروى له الحقيقة فأمسكه البطريرك تلك الليلة ، ولما كان الصباح عزم ثاؤنا على الرحيل للدير ومعه بنيامين فمنعه البطريرك عن أن يأخذه وابقاه لديه ثم رسمه قسيساً وصيره وكيلا له وفرح به البابا اندرونيقوس فرحا عظيما ، ولما دنت وفاته اوصى أن يكون بعده ثم تنيح البابا اندرونيقوس فى ٨ طوبة ٣٣٩ للشهداء الموافق ١٧ يناير عام ٦٢٣ م ودفن بالكنيسة المرقسية بالاسكندرية بمدفن الآباء البطاركة وذلك بعد أن قضى على كرسى البطريركية ست سنوات واربعة عشرة يوماً ورأى أضطهاد الفرس الشديد للمسيحيين وصبر على ما حل به ومات شيخاً .

اختيار بنيامين للبطريركية :

بعد نياحة البابا اندرونيقوس فرح الشعب برغبة البابا اندرونيقوس بأختيار الراهب القس بنيامين خليفه له والذى جاء أختياره مطابقاً للتقاليد الكنسية الطريقة فكان الاختيار بالإجتماع وقد تمت رسامته فى ٩ طوبة عام ٣٣٩ للشهداء الموافق ١٨ يناير عام ٦٢٣ ميلادية (أى اليوم التالى مباشرة لنياحة البابا اندرونيقوس) وأصبح البابا الاسكندرى الثامن والثلاثون واتخذ دير متراس بالاسكندرية مقراً للبطريركية . وتلك التواريخ طبقاً لكتاب تاريخ بطاركة الاسكندرية وكشف بأسمائهم للشماس كامل صالح نخلة .

كان البابا بنيامين من ضمن العاملين فى صمت وصبر ولأنه كان مدركا لعظم المسئولية الملقاة على عاتقه فقد دأب على تعليم شعبه منذ اليوم الأول لأختياره . ويذكر د. الفريد بتلر فى كتابه (فتح العرب لمصر) أن البابا بنيامين لم يتساهل فى أمر الدين ولم يغض عن رذيلة فى الخلق ، فشرع منذ اول امره يأخذ قسوسه بالشدة اذا أخطأوا . وبعد رسامته بطريركا ارسل الى الأساقفة كتابا قال لهم فيه

« لقد رأيت فى مقامى فى حلوان وبابليون جماعة من أهل الفناء والكبر وكانوا قسوساً أو شمامسة ، وما أشد ما كرهت نفسى افعالهم . وانى باعث بكتابى هذا الى الاساقفة جميعا آمرهم أن ينظروا مرة فى كل شهر فى أمر كل من عندهم ممن لم تمض عليه عشر سنوات فى زمرة اهل الدين » .

وقد اعقب كتابه هذا بزيارة وجاء فى الأخبار انه فى اثناء زيارته تلك سار راجلاً من بابليون يصحبه انبا مينا أسقف حصن بابليون وأنبا بليهيو أسقف حلوان وجمع كثير من الناس وذهب الى رجل اشتهر بالعصيان ليحاسبه على ما أجرم ، دعا عليه فأرسل الله على داره ناراً من السماء . وكان الناس يتلقونه افواجاً اينما سار لينالوا من بركته .

فعرف الناس عنه انه رجلاً يعتد به ، وعمل على إعادة وحدة الكنيسة القبطية وعلى أن يعيد اليها اطمئنانها واستقرارها بعد أن زعزعتها حوادث سياسية فى ذلك الوقت ، أو كادت تهدمها .

فى تلك الأثناء كان الامبراطور هرقل قد تمكن من اجلاء الفرس عن مصر عام ٦٢٧ ميلادية ـــ كما سبق القول ـــ ثم اصدر امره بنقل قورش أو كيروس أسقف فاسيس (بآسيا الصغرى) من مكانه الى كرسى الاسكندرية وقد منحه السلطتين الدينية والمدنية فى آن واحد اذ جعله اسقفاً للاسكندرية وواليا على مصر . وقد كلف هرقل سرجيوس بطريرك القسطنطينية وكيروس وبعض اساقفة اليونان بأن يضعوا منشورا يسمونه باليونانية (الاكثيسيس) أى (مشروع الاتحاد) لا يذكرون فيه اسم مجمع خليقدونية الذى ترفضه الكنيسة القبطية بل يقررون فيه أن للمسيح (مشيئة واحدة) بدلاً من طبيعة واحدة . وطلب هرقل من البابا بنيامين أن يقبل هذا المنشور فرفض البابا بنيامين بحجة أنه لا يبحث فى منشور يحرره ملك كل اهتمامه بالغزوات والفتوحات ولا شأن له بالمسائل الدينية . فكان بالحقيقة موقفاً حكيماً وشجاعاً من البابا بنيامين . ولما رأى كيروس بطريرك الملكيين أن الاتفاق السياسى بين هرقل والمصريين يتوقف على الاتفاق الدينى حاول أن يرغم البطريرك القبطى البابا بنيامين على توقيع المنشور رغما عنه ،

لكن البابا بنيامين رفض قبول أى تعليم يؤثر على ما تقلده من آبائه . واضطر معظم وجهاء الأقباط أن يتركوا مدينة الاسكندرية واخذ الوالى فى أضطهاد البابا بنيامين حتى رأى حياته فى خطر وقيل أن ملاك الرب تراءى وقال له . (اهرب انت ومن معك من هنا لأنه شدائد عظيمة تنزل عليكم ولكن تعز فلا يستمر هذا الجهاد سوى عشر سنين) .

وفى الأحد التالى لهذه الرؤية ، حين انتهى من تأدية شعائر القداس الإلهى أعطى شعبه التعليمات الصريحة عما يجب عليهم عمله بإزاء الاستبداد البيزنطى الذى سيحل بهم ثم بعث برسالة دورية الى جميع اساقفة الكرازة المرقسية أطلعهم فيها على الرؤيا التى رآها والحديث الذى سمعه خلالها .

مقال رعوى للبابا بنيامين :

هذا المقال مدون فى كتاب اعترافات الآباء ضد من يقول ان المسيح تألم **بلاهوته وقد اورد نص هذا المقال الأسقف الانبا ايسيذورس بكتاب الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة :**

لنستعد الآن يا اخوتى واحبائى للصوم والخدمة لله وكل فعل حسن مملوء فضيلة وبالاكثر الامانة المستقيمة بالثالوث المقدس إذ نؤمن بالآب والابن والروح القدس الثالوث المتساوى المقدس الممجد الثلاثة اقانيم المتساوية فى كل شيء بالفعل والكلام ثلاثة وجوه جوهر واحد لاهوت واحد ارادة واحدة . ويجب الكلام على الواحد من الثالوث المقدس الذى هو الله الكلمة الذى صار جسدا باقنومة وحده افتراق ولا أختلاط من جسد ودم والدة الإله مريم المقدسة التى هى عذراء فى كل زمان . جسدا مساويا لنا متألما مثلنا له نفس عاقلة ناطقة

ثم أن قوما من الجهال لا يفهمون بالاكثر يشكوننا لاننا كتبنا فى السنة الماضية فى منشورنا الخامس عشر من قول القديس اغريغوريوس الناطق بالإلهيات الذى **قال (ان الله الكلمة تألم بجسده وهو غير متألم بلاهوته) وكتبنا فصلاً آخر هكذا** للقديس كيرلس قال فيه (ان الله الكلمة تألم بالجسد لا بطبيعة اللاهوت)

وايضا اوردنا مثلاً وهو الحديد أو شيء آخر الذى اذا شارك قوة النار يقبلها ويمتلىء من لهيبها . واذا ضرب الحديد أو شيء آخر فان الهيولى هو الذى يقع عليه الضرب فى حين ان طبيعة النار لا تتأثر مطلقا من الضارب . هكذا نعلم قائلين **ان ابن الله تألم بالجسد لا بطبيعة اللاهوت .**

فلما سمع اولئك هذا التعليم قاومونا . وقالوا ان الله الكلمة تألم ومات باللاهوت مع الجسد أيضاً فهم ضالون يتفكرون فى اقوال الاريوسيين والابوليناريوسيين والغنونوسيين ولا يسمعون للرسل القديسين ولا لآبائنا لابسى الله . واننا نبين لهم انهم فى غواية عن الحق وانهم لا يودون أن يسعوا فى سبيل المملكة بل فى طريق البرية المملوء شوكاً . قال بطرس الرسول اول الرسل (ان المسيح تألم عنا بالجسد وهو حى بالروح) . وقال اثناسيوس الرسولى فى الميمر الرابع الذى يناضل به الاريوسيين فى الموضوع هذا (ان الرسول لم يقل ان المسيح تألم بلاهوته بل قال انه تألم عنا بالجسد لنعلم أن العرض حدث للجسد بحق لا للكلمة فى طبيعته) ثم ان الأب ابيفانيوس أسقف قبرص كتب بشأن هرطقة ابوليناريوس يقول (إن كان المسيح مات عنا فليس اللاهوت الذى مات بل الجسد) كما هو مكتوب « انه مات بالجسد وهو حى بالروح » وايضا انه تألم عنا بالجسد ونعترف أن ذلك من قبيل العجائب انه تألم بالحقيقة وانه لم يتألم بالحقيقة . لم يتألم اللاهوت بشيء لأنه غير مائت وغير متغير . وهو مساوٍ للآب وقد دفع الحكيم كيرلس فى الفصل الثانى عشر من فصوله كُفر تاودوريتوس بقوله (انه تألم بهذا الجسد بإرادته وهو مخلص كل الخليقة) ونعترف هكذا انه بنعمة الله ذاق الموت من الكل كما قال الرسول القديس بولس . وهكذا قال الحكيم كيرلس فى ميمره الثانى (انه بنعمة الله ذاق الموت بالجسد عن الكل) .

فاذاً لا يظنن احد بنا اننا نسقط من الرأى المستقيم أو نتفكر أو نتفوه ابداً بالكلام ونقول ان طبيعة اللاهوت تألمت مع الجسد فانه إن قال أحد ان طبيعة الكلمة أو اقنومه سقط فى الألم فقد رذل وهو جاهل جداً . اما نحن فنقول بالحقيقة ان الله غير مائت بذاته لأنه منزه عن المادة . واذا كان جسم الإنسان اذا

قطع بالحديد أو احرق بالنار أو حل به شيء من مثل ذلك لا ينال النفس شيء من ذلك فى طبيعتها ابداً . فكيف لا نقول عن اولئك الذين ارتأوا هذا الجهل . انهم مجانين الذين قالوا ان طبيعة الله الكلمة القدوسة الغبر هالكة تألمت . فالنفس لا تقبل جراح الحديد كما أسلفت فكيف يقال ان ربنا يسوع المسيح تألم فى ذاته لاهوتياً وهو الله وابن الله الآب الحقيقى . الأمر ظاهر انه تألم فقط بالجسد كقول الرسول الكبير بطرس . لانه بذل جسده لأن يتألم وحده وهكذا ذاق الموت عن الكل اذ كان غير مائت بطبعه الإلهى وهو الحياة والمحِى . ولنأت الى الوسط بذكر القديس اغريغوريوس الناطق بالإلهيات فقد قال فى ميمره عن المعمودية (انه غير متألم بلاهوته وهو متألم بالجسد) ومثل ذلك قال القديس باسيليوس فى ميمره عن الشكر (ان المسيح بالآلام تعقدت اعضاء ورباطات مفاصله لما تعب فى الطريق اما لاهوته فلم يقع فى الآلام المنسوبة اليه بل الجسد الذى قبل بطبعه الآلام المنسوبة اليه) .

ثم ان القديس ابرقلس قال فى الميمر الذى الفه بشأن توما الرسول (أنت الغير متألم بالروح وأنت المتألم بالجسد) ورئيس الآباء ساويرس قال فى الرسالة التى كتبها إلى (انيرينقوس الفيروجوسى) شارحاً قول بطرس الرسول (أن المسيح مات عنا بالجسد وهو حى بالروح) لأنه لما بشر بالمسيح انه تألم ومات بالجسد عرفنا باعلان انه متألم بالجسد وأنه غير متألم وغير مائت بلاهوته . وليس هو مفترقاً الى طبيعتين ولا وجهين من بعد الاتحاد الذى لا ينطق به) .

وكنا نود أن نسرد لكم شيئاً كثيرا من هذا القبيل فاختصرنا فهوذا قد ظهر الآن الأمر بهذه الشهادات التى اوردناها لكم ان الله الكلمة صار جسدا وتألم بالجسد حقا وبقى غير متألم مطلقاً وهو مائت بلاهوته لأن اختلاف الطبائع باقِ ثابت فى كل حين اذ ليس بينها أختلاط ومن جهة اخرى اننا لا نعترف ان الذى تألم عنا هو انسان تحت فقط بل نقول ان الإله صار جسدا من العذراء مريم القديسة وتألم عنا جسده كما قال القديس فيلكس اسقف رومية فى كلامه عن الجسد والامانة بقوله (اننا نحرم الذين يقولون أن اللاهوت متألم ومائت كما اننا نحرم

الذين يقولون أن المسيح انسان فقط صلب عنا وليس هو الله الحق بكمال اقنومه . لأننا نؤمن ان الذى تألم عنا بالجسد هو اله حق وبقى بلا ألم بالروح . وهذا ظاهر انه فى كل موضع كتب ان الله الكلمة تألم أو ذاق الموت أو قبل شيئاً آخر مثل هذا) . قال ذلك بالجسد ولم يقل باللاهوت الذى هو باقٍ آلهاً مع جسده باقنومه الكامل .

ومما هو جدير بالقول أن الذى تألم بالجسد هو الكلمة يعنى الله الكلمة الغير متألم تألم وذلك على قياس الانسان الذى اذا قتل بالرغم عن كون نفسه لا تقتل فان القتل يعم كل ذلك الانسان وهكذا نؤمن ان الله الكلمة لم يفارق جسده ونفسه فى إبان الآلام والصلب والموت والقبر ابداً كما قال أغريغوريوس النيسى (ان الذى أتحد لم يفترق الى جزئين فى زمان تدبير موته) وبعد قليل قال أيضاً (ان اللاهوت افرق النفس من الجسد بإرادته واظهر نفسه وهو متحد بالأثنين النفس والجسد) وقال تاودسطس أسقف أنقيرا (ان الرب صار واحدا بلا اضمحلال وليس هو اثنين بعد) وقال اثناسيوس فى رده على الأريوسيين (انه تعالى فضح الخطيئة على الأرض وازال اللعنة على الصليب وهدم الهلاك فى القبر وأبطل الموت فى الجحيم وكل موضع صار فيه صنع لنا خلاصاً) . لماذا أراد الهنا صانع الكل الولادة من امرأة وحدود قامة وعدد سنين وصليباً وموتاً وقبراً ونزولاً الى الجحيم ؟ الا بسبب سقوطنا فى هذه كلها ومن بعد تسليمه نفسه انقذنا ولم يتوجع بالآلام أو بطعن الحربة فى جنبه لئلا يقول غر ان اللاهوت ضعف أو تألم بذاته فى ذلك الوقت : فأنا اشرح لكم هذا فانه ليس الحكيم كيرلس وحده ضرب مثل الحديد بل تقدمه باسيليوس بذلك إذ قال (ان اللاهوت فى الناسوت مثل النار فى الحديد) وقال أيضاً مثالاً فى كيف يملأ الله الكلمة ضعف الجسد (ان النار لم تأخذ من مثال الحديد لأن هذا أسود ولا نفس له ولكنه لما امتلأ نارا لبس النار واستضاء بها ولم تصر النار من جهته سوداء بل التهب هو ولم يطفىء النار . هكذا جسد الناسوت الذى قبله اللاهوت . ولكن ما فكر احد وقال كما تفترق النار من الحديد افترق اللاهوت من الناسوت عند تألمه كلا لأن ليس تأويل الحديد يطابق

الناسوت من كل وجه بل يطابق كشافة للجسد فقط لأن الحديد فى النار بلا نفس والمسيح امتلأت نفسه وجسده من لاهوته وأيضاً كما أن الجديد اذا ضرب بالمطرقة لا تتألم النار هكذا المسيح لما ضرب جسده لم يتألم لاهوته بشيء والفكر فى أن اللاهوت تألم هو فكر أريوسى) .

تأمل ما قاله اغريغوريوس الناطق بالإلهيات فى رسالته الأولى الى اقلنديتوس (لا تحسدونا على خلاصنا الكامل ولا تجعلوا مخلصنا عظاماً وعروقاً وصورة جسد فقط بلا نفس . إن كان هو بلا نفس فهذا يدل على مشيئتين احداهما أن يكون مثل الحديد اذا امتلأ بالنار من كل جانب وهو بلا نفس والأخرى مثل قول أصحاب أريوس انه بلا نفس ليأتوا بالآم الموت على اللاهوت وحاشا أن يكون هذا) . وقال أثناسيوس فى رده على أبوليناريوس (ان الاريوسيين عبثاً يصنعون اذا اوجبوا بقلة إيمان الموت على لاهوت الذى لا يموت) .

وقال القديس المعترف ديسقورس رئيس اساقفة الاسكندرية فى الرسالة التى كتبها وهو فى منفاه (غانفرا) إلى أبريطن (انى قرأت كلاما لك فى كتبك التى ارسلتها مع اناس جوالين ليسوا كاملين فى القامة ولا لهم معرفة صحيحة بل هم مشبثون برأى ابوليناريوس قائلين أن الكلمة مات فلا عجب من قول هؤلاء الذين خزيهم قد وضح فيجب أن نقلع ونخرج عنا كل من يقول ان الله الكلمة تألم بلاهوته أو مات إذ قد صار غريباً من امانتنا المستقيمة ونخرجه من دارنا لأنه ليس هو من صيرتنا وقد ظن هذا الظن احد الذين بدأنا وذكرنا اسماءهم وهم أريوس وابوليناريوس والفنانوسيين هؤلاء المرتبطون ببعضهم البعض الذين يقولون أن اللاهوت تألم مع الناسوت معاً . فأما نحن فما نؤمن هكذا بل نؤمن ان الله الكلمة صار جسدا بحق وبقى بلا ألم ولا موت بلاهوته دائماً . ولكن قوماً يظنون بجهلهم ويقولون اننا اذا قلنا أن المسيح تألم بالجسد لا باللاهوت نوجد فى هذا الوقت موافقين لأهل مجمع خلقيدونية. ونحن نجيبهم ونقول ان القديس كيرلس كتب قائلا انه لا يجب أن نعتفى ونهرب من كل ما يقوله المخالفون لأنهم قد يعترفون كثيرا بالواجب . فإذا كان أهل مجمع خلقيدونية يعترفون بأن الله الكلمة تألم

بالجسد لا باللاهوت فاننا نوافقهم . واذا قالوا انه طبيعتان وقسموا الابن الواحد الى اقنومين وأبنين فاننا نخالفهم لأن آباءنا قد سموا فى مثل هذا الموضع الطبائع اقانيم كما قال اثناسيوس الرسولى فى الرسالة التى كتبها الى يوبيانوس الملك وعد فيها الطبيعة اقنوما بقوله (انا أعترف ان الطبيعة والأقنوم الذى لله الكلمة المتجسد الذى صار انساناً تاما هو واحد والذى يجحد هذا يحارب الله ويعادى آباءنا القديسين) وقال القديس الحكيم كيرلس بشأن تجديف تاودوريتوس (ان طبيعة الكلمة واقنومه ليسا شيئاً يقال الا عن اقنومه وحده الذى هو الكلمة) فأما نحن فنعترف انه تعالى من بعد الاتحاد طبيعة واحدة كالاقنوم الذى هو اقنوم الابنَ الواحد ذى الفعل الواحد فما اكثر الأختلاف الذى بيننا وبينهم) .

خروج البابا بنيامين الى البرية :

بعد أن طلب البابا بنيامين من اساقفة الكرازة المرقسية أن يجتنبوا مجابهة الأضطرابات المقبلة ، رحل عن الاسكندرية . وفى هذا كان نوعاً من المقاومة السلبية وقصة هروبه (عام ٦٣١) لها قيمة تاريخية من وجهة نظر انها تبين حالة الاديرة الحقيقية فى ذاك الوقت . فيخبرنا تاريخ البطاركة :

... وبعد ذلك ذهب عن طريق البر الى مريوط ، سائرا على قدميه أثناء الليل ، الى أن وصل الى المونا (القلالى) Al-Muna ، ومنها ذهب الى وادى شيهات حيث كان النُساك قليلين ، لأنه كان بعد وقت قصير من الخراب الذى حدث هناك ...

ويذكر القمص متى المسكين فى كتاب الرهبنة القبطية (صفحة ١٨٨) :

ويلاحظ ان المسافر فى الطريق البرى من اسكندرية حول فم بحيرة مريوط متجها الى المونا (القلالى) يمر اولاً ببلدة قديمة تسمى تروجة من اعمال البحيرة وهى الآن كوم اتروجة ويقال انها كانت مشهورة بزراعة الكمون وهى التى عبر عليها الانبا بنيامين البطريرك ٣٨ فى رحلته الى شيهيت .

فى تلك الأثناء بعد أن فشل الملكيين العثور على البابا بنيامين قاموا بالقبض على أخيه مينا وانزلوا به بلايا عظيمة منها اشعال المشاعل فى جنبه حتى خرج شحم كليتيه إلى جنبه وسال على الأرض وقاموا باقتلاع اسنانه باللكم والضرب لتمسكه بالامانة الأرثوذكسية . وكان هرقل قد أوصى جنوده بانه اذا قال أحد ان مجمع خلقيدونية حق اعفوا عنه ومن رفض المجمع أطرحوه فى البحر ففعلوا ذلك وملأوا جملة اكياس رملاً وطرحوا مينا فى البحر وهم بمسكون الاكياس وذلك كى يثنوه عن تمسكه الشديد بالإيمان الارثوذكسى ونظرا لاصراره على الامانة دفعوه الى عمق المياه واستشهد لإمانته الارثوذكسية . ولكن من جهة اخرى نتيجة قسوة هرقل فى أضطهاد الاقباط ضل عدد كبير من الأساقفة بعضهم نتيجة العذاب وآخرون بالمواعيد وغيرهم بالخداع منهم كورش اسقف نقيوس وبقطر أسقف الفيوم .

وقد أوردت الاستاذة ايريس حبيب المصرى فى كتاب قصة الكنيسة القبطية (الجزء الثانى) ما كتبه هنرى مونبيه (بالفرنسية) فى مختصر تاريخ مصر :

كان المصريون يعرفون انهم الشعب الذى نال كهنته اكبر نصيب من الألم ذوداً عن الإيمان بسبب تبعيته (السياسية) للقسطنطينية وتدخلها . فقد كان هذا الشعب المصرى يرى أمامه كل يوم بطش الاباطرة بالبطاركة الذين كانوا كثيرا ما يفضلون النفى على امتيازات كرامتهم العظمى ، والحرم على قبول العقيدة المفروضة . وكانت الاحكام الغاشمة الصادرة من القسطنطينية تتكرر بلا انقطاع مستهدفة تجليس العملاء على عرش القديس مرقس فلا تؤدى الا الى الصدام والمذابح .

ثم تضيف الاستاذة ايريس حبيب المصرى قائلة : فبدت مصرنا العزيزة ــ التى بنى مجدها الفراعنة وآباء الاسكندرية ــ فى القرن السابع فى صورة قاتمة موجعة : ففى ناحية منها وقف الطغاة المستبدون من عملاء القسطنطينية ، وفى الناحية الأخرى وقف المصريون صامدين رافعى الرؤوس . فكانت النتيجة الحتمية لهذه الصورة القاتمة الموجعة انتشار الفوضى والأضطراب .

ويذكر الدكتور منير شكرى فى كتاب اديرة وادى النطرون حياة القديس صموئيل المعترف بالقبطية لبيان مجهود كيروس او قورش فى إجبار رهبان برية شيهات على قبول العقيدة النسطورية فيقول :

عندما بلغ صموئيل الرابعة والثلاثين من عمره ، دخل كيروس الاسكندرية مقتفياً أثر القديس البطريرك بنيامين ، وكان كيروس يبغى قتل البطريرك المنافس له وأغتصاب مكانه فهرب اذن بنيامين ، واغتصب كيروس الكرسى ، كما أُعطيت له السلطة الزمنية على البلاد . وقدم كيروس بعد ذلك طومس لاون وارسل أحد الحكام ومعه مائتا جندى الى جبل شيهات لأجل اجبار النساك على الاعتراف بطومس لاون . وعند وصول الرسول الامبراطورى أحتل كنيسة الانبا مكاريوس الكبرى ، وأمر جميع رهبان الجبل المقدس بأن يجتمعوا مع يوحنا القمص ، ولكنهم لم يجدوه ، إذ كان مشغولا باخفاء كنوز الكنيسة فى البحيرة الداخلية ، حيث فاجأه البرابرة واسروه .

وبعد ذلك قرأ الحاكم طومس لاون مع خطاب كيروس الذى يدعو فيه الرهبان الى قبول عقيدة خلقيدونية ، وأمر أحد الشمامسة بأن يسأل بصوت عالٍ اذا كانوا موافقين . فسأل ثلاث مرات ، وكان يقابل فى كل مرة بصمت تام . وعندما حنق الحاكم على الرهبان لعنادهم ، وهددهم بالعقاب نهض صموئيل واجاب (نحن لا نقبل هذا الطومس ، كما لا نقبل مجمع خلقيدونية ، ولا نعترف برئيس اساقفة خلاف أبينا الانبا بنيامين) . ثم طلب صموئيل ان يسلم اليه الطومس ، وبعد أن تسلمه اراه للجمع وحرمه هو ومجمع خلقيدونية ولاون وكل من يشاركه فى الإيمان ثم مزق الطومس إرباً والقاها خارج الكنيسة .

عند ذلك ضرب صموئيل بأمر الحاكم ، وحمله تلاميذه وهو بين الموت والحياة ، بينما الجنود يطاردونهم الى خارج الدير ، وذهبوا به الى الجبل الجنوبى وأحتموا فى مغارة حيث شفى المجاهد المسكين باعجوبة ، ومن هناك ذهب الى الفيوم مع تلاميذه وخرج بذلك من تاريخ شيهات .

وفى هذا الصدد تذكر الاستاذة ايريس حبيب المصرى بأكثر تفصيلاً انه ما كادت يد صموئيل تقبض على طومس لاون حتى مزقها اربا اربا واتبع تمزيقه الطومس بتوكيده الحرم على مجمع خلقيدونية وكل من يدينون به . وبعد أن قام جند القائد بجلد صموئيل وسقط على الأرض مغشيا عليه رفعوه الى جزع شجرة ليجهزوا عليه غير أن أحد الجنود طاش سهمه وأصاب عين القديس اليمنى فسملها وعندئذ امرهم القائد بالكف عن الضرب توهما منه انه فارق الحياة . ومن برية شيهات خرج صموئيل مع اربعة من رهبانه متجهين جنوباً نحو منطقة الفيوم حتى بلغوا جبل القلمون وهذا الجبل يبعد عن الاسكندرية بما يقرب من اربعمائة وخمسين كيلومتر الى الجنوب الشرقى .

ويذكر القس **منسى** يوحنا أن البابا بنيامين عندما وصل الى اسقيط القديس مكاريوس بوادى النطرون لم يجد فيها الا نفرا قليلاً ـــ نظرا للخراب الذى دهم هذه البرية من الفرس ـــ فتركهم وانصرف الى الصعيد وسكن هناك فى بلاد تيباس (مدينة قوص بالأقصر) واختفى فى دير صغير حتى تمت العشر سنين

عودة البابا بنيامين الى كرسيه :

فى اثناء أختفاء البابا بنيامين كان العرب قد دخلوا مصر بقيادة عمرو بن العاص واستولوا عليها وقرب عمرو منه كبار الاقباط وكان بينهم رجل يسمى سانوتيوس أو شنودة (بالعربية) وقام الرهبان يطلبون من الحاكم العربى الأمان والسلام . وفى هذا الصدد يذكر المقريزى فى كتاب (الخطط وتاريخ سلاطين المماليك فى مصر) قائلاً :

اذا صدقنا الكتاب المسيحيين ، فقد ذهب من وادى هبيب الى الطرانة سبعون الف راهب وكل منهم يحمل عكازه ، ليحيوا عمرو بن العاص عند رجوعه من الاسكندرية ، وليطلبوا حمايته لهم ولأديرتهم ، وقد اجابهم هذا القائد الى سؤالهم ، واعطاهم وثيقة يحتفظون بها ، ضمن لهم بموجبها دخلا يجمعونه من

الوجه البحرى ، كان يصل الى اكثر من خمسة آلاف اردباً سنوياً ، ولكنه لا يصل اليوم الى مائة اردباً .

ويرى المؤرخ افلين وايت Evelyn White فى كتاب (اديرة وادى النطرون) ان عدد الرهبان هذا مبالغ فيه ، إذ أنهم كانوا قليلين فى شيهات وقت أختفاء بنيامين (كما ذكرنا آنفاً) ، ولم تكن الحال بأحسن من ذلك فى السنوات العشرة التالية ، ولكن ذلك لا ينفى أن وفداً من الرهبان قابل عمرو ونجح فى مهمته نجاحاً كبيراً .

وبعد أن استتب الأمر لعمرو بن العاص فى مصر أراد أن يتفاهم مع القبط فدارت بينه وبينهم مفاوضات عرف اثناءها أن الانبا بنيامين البابا الشرعى المنتخب من الشعب لا يزال مختفياً فى أحد اديرة الصعيد تجنباً لبطش قورش البطريرك الدخيل . فطلب عمرو من شنودة ، زعيم القبط والمتحدث بلسانهم ، أن يبعث برسالة الى البابا بنيامين ليطلب اليه أن يعود الى مقر رياسته آمناً مطمئناً . ولقد فرح القبط بهذا التصريح وسارع رسل شنودة الى الصعيد ليبلغوا باباهم بما جرى .

وتذكر الاستاذة ايريس حبيب المصرى انه فى تلك الاثناء تعهد عمرو للقبط بأن يدع لهم حرية العبادة كما يدع لهم حرية التصرف فى شئونهم القضائية والادارية . ولم يكتف عمرو بذلك ، بل اقام بعضاً منهم مديرين لمختلف الجهات والغى الضرائب الفادحة التى كان اباطرة القسطنطينية قد فرضوها على المصريين بغير رحمة وأعفى القبط أيضاً من الجندية ، وهنا تضيف الاستاذة ايريس قائلة انه بهذا قد حرمهم من شرف الدفاع عن وطنهم عند الحاجة .

خرج البابا بنيامين من مكان اختفائه عام ٦٤٤ م وما أن وصل الى بابليون حتى خرج شنودة عظيم الاقباط ليستقبله وينال بركته ويبلغه بكل ما جرى بينه وبين عمرو . ثم اتفق معه على الموعد المحدد لمقابلة الحاكم العربى . وعندما التقيا (البابا مع الحاكم العربى) تحدثا فى جميع الشئون الخاصة بمصر ورفاهيتها ثم القى الانبا بنيامين كلمة على المجتمعين . ثم تذكر الاستاذة ايريس المصرى الكلمة التى

قالها عمرو بن العاص عن تقديره للبابا الاسكندرى نقلاً عن كتاب تاريخ مصر الإسلامية لالياس الأيوبى إذ قال :

« انه لم يحادث فى حياته رجلاً من رجال الله أطهر ذيلاً وانقى صحيفة وأجل منظراً منه » . ثم التفت عمرو الى البابا الجليل وقال له :

تفضل بالعودة الى مقر كرسيك ، وار ع اولادك ، وقم بشئونهم كما يتراءى لك ، وإن منحنى الله تعالى النصر على برقة وطرابلس بصلواتك ، فإنى اهبك كل ما تطلب » .

ويذكر الانبا ساويرس أسقف الأشمونين فى كتاب تاريخ بطاركة الاسكندرية :

... وكان الانبا بنيامين حسن المنظر جدا جيد الكلام بسكون ووقار .. وانصرف البابا بنيامين من عند عمرو بن العاص مكرما مبجلاً . وكل ما قاله الآب الطوبانى للأمير عمرو وجده صحيحاً لم يسقط منه حرف واحد .

ثم قام عمرو بعزل قورش البطريرك الدخيل الذى اقامه هرقل . وهكذا رجع البابا بنيامين الى كرسيه معززاً مكرماً بعد غياب ثلاث عشر سنة منها عشر سنين فى عهد هرقل وثلاثة سنين قبل دخول العرب الاسكندرية وأعطاه عمرو الكنائس التى أغتصبها الأروام (ولو أن الخلاف بين الأقباط والملكانيون على ملكية الكنائس استمر بعد عصر دخول العرب لمدة طويلة حيث يذكر كتاب تاريخ البطاركة عما حدث فى عهد البابا خائيل البطريرك السادس والأربعين (٧٤٣ــ٧٦٧ م) فى عصر الخليفة مروان الثانى آخر خلفاء الأمويين (٧٥٠ م) من خلاف حول ملكية كنيسة مارمينا الكبرى بمدينة القديس بمريوط) .

وأخذ البابا فى البحث عن الذين أضلهم هرقل فرجع منهم كثيرون وظهر الأرثوذكسيون الذين كانوا مختفين حسب مشورة بطريركهم . ثم وجه البابا التفاته نحو الأديرة التى أخربها الفرس أثناء تملكهم مصر وأجتهد فى تصليحها .

التعمير فى عهد البابا بنيامين بعد عودته الى كرسيه :

كان موقف العرب من اديرة البرية موقف مسالمة بالرغم من التغيير الذى طرأ عليه فى القرن الثامن عندما أضطروا الى جمع ضرائب . وكان لدير القديس مكاريوس علاقة وطيدة بالبطريركية .

ويذكر الدكتور منير شكرى قصة نقل التسعة والأربعين شهيدا فيقول :

ينسب نقل التسعة والأربعين شهيداً الى تلك المدة من بطريركية بنيامين التى تلى الفتح العربى . فقد دفن هؤلاء الشهداء مع الرسول ، الذى أتى لتنفيذ حكم الموت فى هؤلاء التسعة والأربعين شيخاً ، وابنه ديوس (فى مغارة مقدسة تقع بجوار البرج الكبير الذى يدعى برج بيامون) ، ولا يذكر شيء عنهم فى النصف الأخير من القرن الخامس وفى القرن السادس ، الا أنهم كانوا وسيلة للنضال بين اتباع جيانوس والرهبان التيودوسيين ، وكانوا سبباً فى جذب هيلاريا وانستاسيا الى شيهات . ويذكر عن هذه الأخيرة أنها كانت تصلى على قبرهم وأنهم ارشدوها الى أن تقصد الانبا دانيال فيما يتعلق باحتياجاتها . وكانت اجسادهم ماتزال فى تلك المغارة فى القرن السابع ، اذ نعلم عن من كان يدعى ابراهام الذى من فيلبى انه رأى رؤية عجيبة (بينما كان ينام فى المغارة فى مكان هؤلاء القديسين) .

وسرق أناس من البتانون أحد هذه الأجساد ، ودفنوها فى كنيسة كانوا قد أقاموها بأسم انبا (اونوفر) أو (اونوفريوس) ، وكذلك سرق أناس من الفيوم جسد الصبى ديوس ، مما جعل الرهبان يفكرون فى نقل هذه الاجساد الى مكان أمين فنقلوها الى الكنيسة الجنوبية التى كان أمر ببنائها ارستوماخوس ودفنوها فى مكان فيها يقع الى الجنوب الشرقى منها ، كرسه الانبا ثيودوسيوس بطريرك (راكوتى) طبقاً للتقاليد الارثوذكسية . وعندما علم بذلك الانبا بنيامين ارسل إلى الأخوة يدعوهم إلى بناء نصب خاص لهم ، فأقاموه (وفى اليوم السادس والعشرين من شهر طوبة وصل البطريرك الى شيهات ، وهو يوافق عيدهم . وسار امامه الشعب بفرح كبير . وفى الخامس من شهر أمشير من ذلك العام رفع ابونا

الأنبا بنيامين أجساد هؤلاء القديسين واحدا واحدا ، وناولها للكهنة والشمامسة ، فحملوها الى وسط الكنيسة ، ودفنوها فى اكفان مقدسة معطرة بالبخور ، بين تراتيل المزامير ، ثم صلى عليهم صلاة الانافورا ، وكانت تجرى فى مقصورتهم معجزات شفاء) ، ويضيف السنكسار أن (كنيستهم هى اليوم فى القلاية التى تدعى بالقبطية « بى ميه ابسيت » أى التسعة والأربعين) .

كل هذه الأعمال تتضاءل بجانب قيام البابا بنيامين بتكريس كنيسة القديس مكاريوس الجديدة بديره بوادى النطرون ، وقد قام الأنبا بنيامين بذلك فى وقت تقدم به السن وصار مريضاً .

ويذكر القمص متى المسكين قصة التكريس هذه نقلاً عن مخطوط ١٨ سير حيث يروى البابا بنيامين بنفسه قصة التكريس كما نقلها تلميذه أغاثو القس فى نحو ثلاث ورقات من البردى مكتوبة بالقبطية عثر عليها افلين وايت . فيقول :

لما كنت فى مدينتى (الاسكندرية) فى قلايتى ، وعندما وجدت زماناً يسيراً سالما من الاضطهاد الذى للهراطقة ، وإذ قد حضر يوم ميلاد ربنا يسوع المسيح ـــ تمجد اسمه ـــ الذى هو الثامن والعشرين من كيهك ، كنا مجتمعين فى كنيسة والدة الإله القديسة مرتمريم التى تدعى (اسطوا انجيلون) اعنى مجمع المسيحيين وقد عملنا فيها صلوات كثيرة وقداساً بمحضر من جماعة الكهنة ومقدمى المدينة وجميع الشعب الكبار والصغار ، الاغنياء والمساكين ، وجمع كثير من النساء المؤمنات المحتشمات .. تطلعت فرأيت رهبانا فضلاء قد دخلوا فى وسط الشعب ، وقوم منهم كهنة ، قد جاءوا من برية أنبا مقار الرجل الصديق . وكنت أنظرهم واقفين فى هدوء وثبات بشكل ملائكة الله . وانا عرفتهم من مشيهم المهتدى المتواضع أنهم من جبل شيهات . أما هم فلم يستطيعوا أن يصلوا الىّ من كثرة الجموع التى كانت تزاحمهم . حينئذ تطلع واحد من كبار الكهنة الذين فى الاسكندرية ، فعلم أنهم من برية انبا مقار ، فمشى آتيا نحوى واعلمنى عنهم . فأمرت أن يأتوا بهم إلىّ . ولما نظرت ثباتهم الحسن وكثرة تواضعهم علمت أنهم كاملين ، وقد جاءوا من الأرض المقدسة . وحينئذ سألتهم : « من أين أتيتم

يا آبائى الى ههنا ، ومن أجل أى عمل ؟ » أما هم فقالوا لى : « أبونك تعلم ! » . وأنا قلت لهم : « اعلمونى يا أولادى لماذا أتيتم ومن أجل أى عمل قبلتم هذا التعب وهذا العناء العظيم وهذه الطرق المقفرة ؟ » . فأجابوا : « أتينا لأبوتك نطلب إليك كى تتكلف مشقة الطريق الى جبل شيهات المقدس مسكن ابينا الصديق البار العظيم أنبا مقار ، من أجل الله ،لكى تكرس لنا البيعة الجديدة التى صنعها فى الصخرة القائمة بين القلالى ، من أجل أن كثيرين من الشيوخ والضعفاء ممن يسكنون فى القلالى السفلية يتعبون فى صعودهم إلى المواضع العلوية ، والآن يا أبانا نيحنا من أجل الرب لتأتِ مع عبيدك لتصنع معنا رحمة ومع أخوتنا ليأخذوا بركتك المقدسة لأنهم جميعا منتظرون ومشتاقون لرؤياك » .

وأنا لما سمعت هذا من اولئك الأخوة المحبين لله اخذنى فرح عظيم تجاوز حد مسكنتى وقلت : « ترى هل يجعلنى الله مستحقاً لهذا الأمر ؟ » . ثم قلت لهم : « يا آبائى اقيموا عندى اليوم وغدا حتى نصنع عيد ربنا يسوع المسيح ونجتمع بالشعب ونعظهم بكلام الرب وبعد ذلك نستعد للسير معكم بإرادة الله لنأخذ بركتكم » .

وعندما صنعت العيد الذى لربنا يسوع المسيح الذى هو الثامن والعشرين والتاسع والعشرين من شهر كيهك ، قمنا فى نهاية هذا الشهر وقلت لأغاثو القسيس الذى لى وقسما كاتبى : « اهتموا بنا يا اولادى لكى نمضى الى جبل شيهات ونأخذ بركة آبائنا الرهبان أولاد أبينا الصديق العظيم أنبا مقاره » .

وفى اليوم الثانى من طوبة قمنا وتقدمنا فى المسير فى الطريق ، وكانت نعمة الله تظللنا ونحن نمشى على فم بحيرة مريم واتينا الى تروجة ، فقبلونا اولئك الرجال اهل ذلك الموضع بفرح عظيم . ومن هناك أتينا الى جبل نيرى المقدس الذى لأبينا انبا ايساك على رأس جبل برنوج . فيالعظم فرح الاخوة بنا وحلاوتهم الروحانية والجسدانية . وامسكونا عندهم يومين . ومن بعد هذا قمنا باكرا وركبنا دوابنا وهم يودعوننا ، هؤلاء الأخوة المحبين لله الذين وجدنا منهم ربحا عظيماً وافتقاداً . ثم ابتدأنا بالمسير فى الطريق المقفرة فى البرية الداخلية وكانوا يمشون معنا — أى

الأخوة الذين من جبل نيرى — ليدلونا على استقامة الطريق . وكانت معنا قوة عظيمة تظللنا من الله ، حتى اشرفنا على فم الوادى الذى فى داخل جبل النطرون . ثم استقمنا الى دير أبوينا الروم مكسيموس ودوماديوس واسترحنا هناك فى كنيسة القديس ايسيذوروس القس توما .

حينئذ مضى الأخوة الذين كانوا قد اتوا الينا فى الاسكندرية متوجهين الى برية دير ابينا أنبا مقار وبشروا الأخوة كلهم والشيوخ بمجيئنا الى البرية . وبقى معنا أثنان من كهنتهم مع الأخوة الذين صحبونا من نيرى .

ومن بعد هذا قمنا فى السابع من الشهر ومررنا على ديارات آبائنا أنبا بيشاى وانبا يحنس واخذنا بركتهم المقدسة وسرنا الى دير انبا مقار فلما قربنا من البيعة نحو ميلين ، وهوذا قد تلقانا منه اولا شبانا حاملين سعوف نخيل فى ايديهم ، ومن بعدهم شيوخا حاملين مجامر وصلبانا يسبحون بمدائح وتراتيل بأصوات تشبه اولاد العبرانيين لما خرجوا يسبحون قدام ربنا يسوع المسيح حتى اتوا به الى اورشليم . وهكذا صنعوا بمسكنتى . وعندما خرج الشيوخ يرتلون امامى تزلزل الجبل من كثرتهم . وكانت صفوفهم مثل جنود السماء طغمة طغمة ، وكان معهم المعلم باسيليوس اسقف مدينة نقيوس .

وأنا علم نظرت هذه الثيؤريا (الرؤية) هكذا ، ومحبتهم فى ، مجدت المسيح الهنا قائلاً : « اشكرك ياسيدى يسوع المسيح ، لأنك جعلتنى مستحقاً أن انظر علانية الامانة الأرثوذكسية مرة اخرى ، وازدهار الكنيسة المقدسة ، وانقلاب وهدم كل الهراطقة الكفرة . نعمتك مقبولة يامخلصنا الصالح بالمثال الذى أريتنى فيه الكنائس مرة اخرى فى مجدها واستقامتها . اشكرك ياسيدى يسوع المسيح لأنك خلصت نفسى من المارد التنين المنافق ، هذا الذى كان يطاردنى من أجل الامانة المستقيمة . اشكرك ياملكى المسيح لأنك جعلتنى انظر اولادى مرة اخرى وهم محيطون لى فى كرامتك ياسيدى يسوع المسيح » .

حينئذ كان الكهنة كلهم والرهبان يمشون قدامى ، حتى دخلنا الى الكنيسة الجديدة التى بنوها ، فقلت أنا فى ذلك الوقت : « انى قد حملت الى فردوس

الله ، مجمع الملائكة ، فرح القديسين ، راحة الصديقين » واسترحنا ذلك اليوم .. ثم دعوت أغاثون القس الذى لى ، الذى تعب معى من أجل الامانة فى زمان تجاربى عند مطاردة كيرش المقوقس ، عدو كل حق ، لضعفى . وقلت له : قم يا ابنى لتخرج كتب القراءة المختصة بتكريس الكنيسة لأكرسها مع المذبح . وحينئذ لما ابتدأت بأول صلاة ، كان يساعدنى انبا باسيليوس اسقف ابشادى وكل الكهنة حولى .

وفيما أنا أشاهد جموع الرهبان والكهنة ، إذ بى أرى واحدا منهم ووجهه يضىء جدا ، يسطع منه بريق فى وسط الكهنة . وكنت أتأمله وقتاً طويلاً ، ولم أكن أعلم أنه العظيم انبا مقار أب هذا الجبل الذى جاء فى وقت تكريس الكنيسة . بل كنت افكر قائلاً هوذا اب الشعب وراعى الخراف . اذا أراد الرب وخلا كرسى فإنى أجعله أباً عليه ، لأن هذا الرجل قديس ويليق به هذا الأمر وهذه الأبوة تصلح للكاملين بهذا المقدار . وفيما كنت اتفكر بهذه الأمور وفى ذلك القديس اذا بشاروبيم ذى ستة اجنحة وقد ظهر مقابلى وقال لى : « يا أسقف ، لماذا تخطر هذه الأفكار فى قلبك ؟ هذا هو أبو مقار أب البطاركة والأساقفة . هذا هو لابس الروح أب الرهبان كلهم الذى لهذا الجبل » أما أنا فقد صرت داهشاً وأنا أنظره فى وسط بنيه يفرح معهم . وكان صوت ذلك الشاروبيم يطن فى مسامعى ، وقد خفت منه . ثم قال لى ذلك الشاروبيم : « اذا سلك اولاده الطريق المستقيم وسعوا السعى الملوكى الذى مشى فيه أنبا مقار والذى علمه لهم ، فانهم يدخلون معه فى طريق الملك ويفرحون معه فى دهر الأنوار . واذا لم يسمعوا منه ولم يتبعوا وصاياه فليس لهم معه نصيب لكنه يطردهم من قطيعه ولا يكون لهم نصيب لكنه يطردهم من قطيعه ولا يكون لهم نضيب فى ميراثه » . فأجاب البار أنبا مقار بتحنن ومحبة لبنيه : « ياسيدى لا تقطع على اولادى بهذا . لكن اذا بقى فى العنقود حبة واحدة ، قبل (انه لا يهلك) ، لأن بركة الرب تكون فيه . وأنا اؤمن بالمسيح حبيب نفسى اذا وجد فى اولادى وصية واحدة لله التى هى محبة الأخوة بعضهم لبعض والرأفة لكل أحد أو وصية اخرى من الوصايا ، او يرفعوا عيونهم الى السماء الى المسيح ملكنا يسوع دفعة فى كل يوم ، فأنا اؤمن بصلاحه

انه لا ينسى تعبهم بل يخلصهم من العذاب الابدى . لأن محبة الرب تسهل التوبة للخاطىء ولا تريد أن الخاطىء يموت فى خطيته بل يرجع ويحيا بالتوبة » .

وحينئذ لما سمعت هذا الكلام من رجل الله انبا مقار علمت انه محب لأولاده بالحقيقة . هذا هو مقار الحقيقى المكرم عند الله والناس . هذا هو الشبكة التى تجمع من كل جنس الى ملكوت الله ، اعنى الآب ابا مقار ، تلميذ الرب . فأجبت حينذاك : طوباك يا انبا مقار طوبى لطغمتك . طوبى لبنيك لأنهم استحقوا ان تكون أنت طالبا عنهم امام منبر الله الآب ووحيده الابن ربنا يسوع المسيح والروح القدس اذا جاء ملكنا والهنا يسوع المسيح فى مجيئه الثانى ليعطى كل واحد كنحو عمله . بالحقيقة انك انت انبا مقار القديس الذى خلصت انفس كثيرين ، ورسيت بهم الى ميناء الخلاص ، وكنت لهم شفيعاً . داود البار أبو المسيح بالجسد يكرم اسمك فى اول مزمور ويصرخ لنا هكذا قائلاً : « طوبى للرجل الذى لم يتبع رأى المنافقين . ولم يقف فى طريق الخاطئين . ولم يجلس فى مجالس المستهزئين » . بالحقيقة يا انبا مقار قد صرت مختاراً فى جيلك . طوباك انت يا شجاع الملك المسيح . طوبى للبطن التى حملتك بالحقيقة فى العالم . اذكرنى يا قديس الله .

فقال باسيليوس وانبينيوس لى أنا وأغاثون القس : « يا أبانا » لمن تخاطب ؟ فقلت لهم : « يا اخوتى ، انا اتكلم مع انبا مقار النبى اب هذا الجبل . لكن يوجد زمان للكلام ويوجد زمان للسكوت » . وصعدت الى المذبح وقلت صلاة الميرون المقدس . ولما أخذت الميرون المقدس لأنقط منه على المذبح المقدس ، سمعت صوتاً يقول : « تأمل يا أسقف » وفيما أنا أنظر على المائدة نظرت يد المخلص تمسح المذبح . وللوقت اعترانى خوف ورعدة حتى قلت مع البطريرك (رئيس الآباء) يعقوب : « ان هذا الموضع مخوف وهوذا بيت الله وهذا محله وموضع راحة العلى » . وحينئذ لما تطلعنا (الى انبا بنيامين) رأيناه وقد صار كله ناراً ووجهه يضىء جدا بالنور . ولم يجسر احد منا أن يتكلم معه . لكن كنا قائمين بهدوء فأجاب هو وقال : « هذه مظلة (خيمة) الآب والأبن والروح

القدس » ، وكان يدور حولها قائلاً ثلاث مرات : الليلويا . ثم رتل قائلاً : مساكنك محبوبة يارب اله القوات ملكى وإلهى . تشتاق نفسى وجسدى الى دخول ديارك . مذابحك مقدسة ايها الرب إله القوات ملكى وإلهى الى ابد الآباد . ولما كرز القبة خرج الى الشعب وكرز الاعمدة والجدران ثم عاد وجلس فى القبة واجبنا قائلاً : قد حملت اليوم الى فردوس الرب إله الصباؤوت ، وسمعت أصواتاً لا ينطق بها ولا تخطر على قلب بشر كقول الحكيم بولس . صدقونى يا إخوتى اننى نظرت مجد المسيح اليوم وقد ملأ القبة . ونظرت بعينى الخاطئة الذراع الغير مرئى واليد الغالية ، نظرت يسوع المسيح يمسح مائدة هذا الموضع المقدس . ورأيت أيضاً الشاروبيم والسارافيم والملائكة ورؤساء الملائكة ورؤساء الكهنة وقوات العلاء كلها يسبحون الآب والابن والروح القدس فى هذه القبة اليوم . ورأيت أب البطاركة والاساقفة أب كل معلمى البيعة الأرثوذكسية قائماً فى وسطنا اليوم بفرح وسط اولاده ، اعنى العظيم أنبا مقار . بالحقيقة أن كرسى الله الضابط الكل أبو ربنا يسوع المسيح والروح القدس فوق هذا الموضع المقدس . بالحقيقة هذا هو المذبح الذى تكلم اشعيا النبى من أجله قائلاً : « يكون مذبح للرب فى أرض مصر وعمود الرب فى قراه المقدسة » قوموا الآن يا أولادى لنكمل الخدمة المقدسة ونأخذ بركة آبائنا ونمجد الله العلى » .

ولما اكملت الخدمة ، وفيما أنا أقرب الكهنة ، اذ رأيت ايضاً نعمة عظيمة لا يجب أن نخفيها : لما أتيت لأقرب الشيوخ رأيت صفوف الشيوخ كلهم تلقى دخانا إلى فوق القبة . وهكذا انفتح سقف الكنيسة وصعد دخان البخور الى السماء . وكنت افكر ان كل واحد من الآباء يرفع البخور حتى يتناول من الاسرار المقدسة التى لابن الله العلى بشكر . فلما تأملت واذا اولئك الشيوخ يصلون وبخور خارج من افواههم صاعد الى السماء . فعلمت بالحقيقة أنهم يقولون صلوات وطلبات قبل أن يأخذوا من الأسرار المقدسة أى الجسد والدم الكريم اللذين للمسيح . ونظرت صلوات القديسين والملائكة تستقبلها وتصعدها أمام كرسى الله . ومن كثرة صلواتهم علمت بالحقيقة أن هذه هى المنارة الذهب التى عليها السراج ، والجوهرة الثمينة المختارة وكوكب الصبح المشرق مجدا الذى ينير على

المسكونة . وكنت أمجد واسبح ، وأرتل نسبحة الثلاثة فتية عزاريا وحنانيا وميصائيل الذين قالوها وهم فى أتون النار : تباركت ايها الرب إلهنا إله آبائنا . تزايدت بركة وعلواً الى الأبد . مبارك إله الرهبان بالحقيقة أن العالم كله مستقيم بهؤلاء القديسين وبنسلهم الروحانى . هذا هو مجمع الملائكة وخلاص الأنفس الذين التجأوا الى الله منجى كل أحد .

وأنا عندما نظرت هذه الأعمال هكذا ، مجدت ملكنا المسيح ، الذى جعلنى مستحقاً للرؤيا العظيمة هكذا . وكنت داهشاً من أجل الذين رأيتهم كلهم . وهكذا اجتذبنى نوم كثير . ولما غطيت فى النوم قليلاً ، اذا بإنسان منير وقف معى فوقاً منى وقال لى : قم يا أسقف لترتب قوانين هذه البيعة وهذه القبة الواحدة معاً . ليحترز كل أحد من سلوكه فيها من القسوس الى الشمامسة بصبر تام وسكون صالح ، لأن المسيح ههنا وملائكته المقدسين معه . وهكذا فلتثبت هذه القوانين تذكارا لهذه القبة الى الأبد . لأنه سيأتى جيل يحبون فيه مجد الناس اكثر من مجد الله ويدوسون هذا الموضع المقدس بجسارة وقحة بغير حشمة ، ويبدلون نعمة الروح القدس بالاموال ويقاومون القوانين الرسولية . هؤلاء الذين لهم قلوب البهائم يقرأون ولا يفهمون . قد زاغوا كلهم وصاروا غير معلمين وهم فى بطونهم ومجدهم فى عارهم . يمشون على بطونهم مثل الحيات وينفخون ويلدغون . جاهلون مبغضون لأخوتهم مستهزئون متطلعون للمآكل والمشارب يشبهون البهائم التى لا فهم لها . هؤلاء تفرزهم هذه البيعة المقدسة السعيدة الجامعة .

(ثم اخذ الملاك يذكر القوانين المختصة بالصلاة فى هذه البيعة وختمها بهذه الكلمات) :

اعلموا يا أخوتى أن نصيب يعقوب لا يكون لواحد من هؤلاء القوم . لأن هذه القبة والقوة الساكنة فيها مع مذبحها لا ترضى بشىء من هذا . بل من يكون متواضعاً متزيناً بالأناة كاملاً فى شكل حسن كمثل ما شهد لنا المعلم بولس الرسول فى قوله على هذه الدعوة انظروا ولا تظنوا يا أخوتى انه أتتنى هذه القوانين من أجل هذا الجيل ، لا بل حينما يتم ما أعلن لى من قبل . والذى اعلمنى قال لى

انه لابد من أن يكون هؤلاء فى آخر الأيام . ومن أجل هذا كتبت هذا القانون بثبات كثير لمن يأتى فى كل زمان . لكى يبتعدوا من الناس ويحبوا مجد الله العلى .

قال لى صاحب الشكل المنير الذى لا أستحقه هذا الكلام أيضاً : ان يوم خروجك من الجسد يوافق يوم تكريس هذه الكنيسة المقدسة تمضى الى المسيح الذى أحببته وتستريح مع كافة القديسين كلهم فى اورشليم مدينة الفرحين كلهم .. فقلت له : ياسيدى ، اترى الله يجعلنى مستحقاً أن يقبلنى إليه فى هذا اليوم المقدس ويفتقدنى فيه أنا عبده الخاطىء ؟ مبارك هو المسيح ملكى حبيب نفسى وروحى لأنه صنع رحمة عظيمة معى .

وللوقت غاب عنى ذلك الشاروبيم . فدعيت اغاثون القس وقلت له : يا إبنى اغاثون ، اكتب يوم تكريس هذه الكنيسة عندك وذكرنى به فى كل يوم لكى اكون ذاكراً خطاياى . لأن الشاروبيم قد قال لى ان يوم خروجك من الجسد يوافق يوم تكريس هذه الكنيسة الجامعة التى لأبينا الصديق انبا مقار البار .

والآن فلنأت إلى هذه الاعجوبة العظيمة التى كانت فى يوم تكريس هذه القبة ، هذه التى لا ينبغى أن نسكت عنها .

كان ارخن عظيم فى مدينة نقيوس حاضرا فى ذلك اليوم يدعى اسمه انادوليس . وهذا كان قد أتى لحضور التكريس وكان ابنه معه وهو اجزم . فأستمع ـــ بتأمل ـــ القول والعجائب التى تظهر من قبل ابينا القديس العظيم انبا مقار رجل الله آب هذا الجبل المقدس شيهات ، زينة الرهبان كلهم والاساقفة والبطاركة والمعلمين العظماء الذى للمسكونة كلها ، هذا الذى بخور فضائله الكثيرة وسعيه الكريم قد ملأ جو السماء كلها وسراجه ينير لكل من يأتى اليه . وهذا الأرخن الذى ذكرناه أنادوليس ، هذه كانت عادته أن يأتى الى شيهات مرات كثيرة ليقتنى بركة الشيوخ . وفى هذه المرة أحضر معه ابنه الصغير الضعيف لحضور تكريس الكنيسة الجامعة التى لأبينا المبارك العظيم أنبا مقار . ومن أجل نصيحة الناس حمل انادوليس ابنه واحضره الى الجبل ودفعه لشيخ قديس لله طاهر مع عبد صادق ليخدمه لأنه كان يأتى الى شيهات عند الشيوخ ثلاث مرات فى

كل سنة : كان يصنع يوم ميلاد ربنا يسوع المسيح فى شهر كيهك ، ومن بعده يقيم فى البرية لا يتجاوزها حتى يعمل عيد الغطاس المقدس ، وايضاً يصنع عيد الشيوخ (الشهداء) ، ويرجع الى مسكنه ، ثم كان يصنع هكذا ايضاً فى عيد القيامة المقدسة . وكان انه لما اكملنا تكريس الكنيسة وصنعنا الخدمة وقربنا الشعب من الاسرار المقدسة ، كان الصبى راقداً يصرخ صراخاً كثيرا فى النوم حتى انزعجت الشيوخ من كثرة صياحه وأن واحدا منهم ستر ذلك الطفل الصغير وأخذ له قوة قلب وايقظه ولما قام الطفل نظروه كلهم ، واذا هو قد عوفى مثل واحد قد وُلد الآن معافى فى جسده . وكانوا يمجدون الله من أجل هذه الأعجوبة العظيمة التى كانت .

ولما اكملت الخدمة المقدسة جاء الى ابو الصبى واعلمنى بالذى كان من ابنه . وأنا لما سألت الطفل **قائلاً** : ما الذى نظرته يا ابنى ؟ اعلمنى ولا تخفى شيئاً مما نظرته . فأجاب الشاب قائلاً : لما كنت راقداً رأيت انساناً طويلاً ذا شيبة ولحيته نازلة على صدره قد دغدغ جسدى كله بيديه ، فصرخت من الوجع . ثم أمسك طرف ثوبى واصعده من فوق رأسى . حينئذ رأيت وجعى وجراحتى ملتصقة بملابسى . فقال لى : تقوى يا ابنى هوذا الخلاص قد صار لك . وأن واحدا من الآباء ايقظنى بعد ذلك فقمت وأنا معافى . وكان لى هذا ياسيدى الآب وأنا رأيته بعينى . وقد صرت كمثل من لم يمرض ابداً بل قوى فى جسدى كله . فمجدت ربنا يسوع المسيح الذى أظهر قواته وآياته من قبل ابينا العظيم انبا مقار لابس الروح هذا الذى مجده ربنا يسوع المسيح إذ صنع له ارادته كلها . بالحقيقة إن أبانا الصديق العظيم انبا مقار صار ميناء خلاص للعالم كله يشفى كل مرض النفس والجسد معاً . ومن بعد موت ابينا انبا مقار اللابس الروح مكث حيا صديقاً كائناً فى وسط اولاده يشفى امراضهم .

طوباك أنت يا جبل النطرون لأنك أستحققت هذا الرئيس العظيم هكذا هذا الذى جمع إليه جنده كلهم . هؤلاء الذين شدهم المسيح ليحاربوا الأرواح الخبيثة . ايها الجبل الذى جذب اليه هذه الأنوار العظيمة الذى يضىء اكثر من

الشمس فى النهار وفى الليل أيضاً . تصعد صلواتهم كمثل النار المشتعلة . ايها الجبل الذى اثمرت فيه الثمار الروحانية ثلاثين وستين ومائة . ايها الجبل الذى قبل اليه الأنفس المسودة بالخطية . وملحه الروحانى التى هى التوبة المقدسة بيضتهم اكثر من الثلج . ايها الجبل الذى صيته شاع فى كل مكان وجذب اليه الملوك والاغنياء والمساكين يخدمون الله فيه . بالحقيقة انت هو الجبل الذى هو الملح الروحانى المملح به الانفس التى قد فسدت بالخطية . وثبتهم لله الذى خلقهم ايها الجبل الذى جعل اللصوص قد صاروا معلمين وواضعى **ناموس وشهداء ايضاً .**

والآن يا آبائى القديسين فلنطلب دوما لكى ملكنا المسيح يؤسسنا على أساس بيعته المقدسة ، ويخصنا بصلاحه ، ويجعل امانته الأرثوذكسية كائنة دائماً فى اعلان بدون خوف فى كل حين لنفتخر نحن المسيحيين بها فى كل حين ، ويخلصنا من قلق الأعداء ومن حسد الصياد عدو كل حق الشيطان .

لأن الملك والقوة والسلطان لربنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح آمين .

والقوانين المختصة بالصلاة فى كنيسة أنبا مقار والتى ذكرها له الملاك ــ كما جاء أنفاً ــ قد ذكرت فى مخطوطة قبطية من القرن التاسع نشرها افلين وايت ، وهذه هى القوانين :

١ــ لا يصعد كاهن الى هذا الموضع المقدس قبل أن يضع الكوفيه اولاً (التلفيعة على الرأس وحول العنق) ، قبل أن يدخل البخور الى الهيكل .

٢ــ لا يتناول كاهن أو شماس قبل أن يلبس الكوفية أو التلفيعة .

٣ــ لا ينطق كاهن أو شماس تحت هذه القبة المقدسة بأية كلمة غير مناسبة ولا يجلس تحتها ليقرأ أى كتاب .

٤ــ لا يدخل كاهن أو راهب الى هذه القبة اذا لم يكن معيناً للخدمة فى هذه الكنيسة .

٥ــ إذا أحضر أى من كهنة هذا المكان كاهناً غريباً من مصر أو أى شخص آخر الى هذه القبة وذلك المسكن المقدس لأجل المجد العالمى فليكن اناثيما (محروماً) .

٦ــ إذا أصر أى شخص على دخول هذه القبة المقدسة فإن الرب يسوع المسيح يخرجه خارجا .

٧ــ واذا تعدى أى شخص حدوده لأجل أن يكون له نصيب فى ذلك المكان المقدس بواسطة المال أو الرشوة ، فليكن هو وكل من يساعده للدخول لأجل المجد العالمى ، مجرداً .

وهيكل بنيامين الحالى بدير القديس انبا مقار ــ كما يذكر الدكتور منير شكرى ــ يختلف عما كان عليه فى ذلك الوقت ، إذ كان على ارتفاع كبير ، وكانت الطبقات الثلاث لنوافذه تجعل قبته الجميلة تبدو وكأنها سماء ثانية وكانت حوائطه تزهو بألوانها ، كما كان الضوء يخترق زجاجه الملون ويقع على الرسومات التى كانت تمثل سكان السماء نفسها . فكان الناسك فيه يخيل لنفسه انه قد انتقل الى طبقات السماء . وهذا ما يؤكده قول البابا بنيامين فى وصفه لتكريس البيعة ، والتى ذكرت آنفاً .

والتاريخ المحتمل للهيكل الحالى هو اوائل القرن التاسع عندما قام البابا يعقوب البطريرك الخمسون (وكان يسمى بالعمود المضىء وهو من رهبان دير القديس أنبا مقار ٨١٩ــ٨٣٠ م) وهو نفس التاريخ الذى ترجع اليه كنيسة العذراء بدير السريان .

وبعد أن وقفنا على النعمة الخاصة التى يزخر بها هيكل بنيامين والذى مازال قائماً شامخاً بكنيسة انبا مقار بديره العامر بوادى النطرون ندرك اية خسارة ننالها عندما نحرم انفسنا أو حتى نتكاسل فى التواجد بهذا الهيكل الذى كرسه الرب يسوع بنفسه وتواجد به أب الرهبان القديس انبا مقار وسكنه ويسكنه رهبان أتقياء مباركين .

البابا بنيامين وكنيسة القديس مرقس بالاسكندرية :

يذكر القس منسى يوحنا قصة محاولة سرقة رأس القديس مارمرقس بكنيسته بالاسكندرية فيقول انه بعد دخول العرب الاسكندرية حدث هدم لأسوار المدينة وتدمير فى معظم الكنائس وبينها الكنيسة المرقسية القديمة حيث كانت بقايا جسد القديس مدفونة وهذه البقايا خلصت بمعجزة الهية لأنه بينما كانت النيران مشتعلة فى الكنيسة دخل إليها بحارة المراكب وفتشوا تابوت القديس ظانين أن فيه مالاً ولما لم يجدوا أخذوا الثياب من على جسمه وبقيت عظامه فيه . وجاء بعد ذلك رئيس مركب شنوده أحد عظماء الأقباط فوجد رأس القديس فأخذها وخبأها فى جوف مركبه ولما أراد أن يسيره خارج الاسكندرية لم ينتقل فأخبره شنوده بذلك ففتش السفينة فوجد بها رأس القديس فمضى وأعلم البابا بنيامين بالخبر وكان شنوده قد شاهد فى رؤيا القديس مرقس يطلب منه أن يبنى له كنيسة فى موضع عينه له فأعترف بأن شكل الرأس كالشكل الذى شاهده فى الرؤيا وحالا أخذها من المركب فأقلعت فوراً وجميع الذين شاهدوا هذه الاعجوبة كانوا يمجدون الله وقيل أن عمرو بن العاص عندما قص عليه البابا بنيامين هذه المعجزة أعطاه ألف دينار لكى يبتنى بها كنيسة احتراما للرأس وسميت بالمعلقة وكانت قائمة جنوبى الاسكندرية .

وعاد البابا بنيامين إلى المدينة والرأس فى حضنه وصنع لها تابوتاً من الأبنوس وبنى عليه بيعة ومن ذلك الوقت صار كل البطاركة الذين يرسمون يضعون الرأس أمامهم وقت التكريس مغطاة ببرقع جديد ويقدمونها للشعب لتقبيلها وفيما بعد جدد هذه البيعة البابا يوحنا السمنودى البطريرك الأربعين .

وتاريخ كنيستنا القبطية يخبرنا أن رأس القديس مارمرقس نقلت من دار ابن السكرى إلى مدفن الآباء البطاركة بالكنيسة المرقسية بالاسكندرية ولم تزل باقية به وذلك أنه لما جلس البابا بطرس البطريرك ١٠٤ وأحتضن الرأس على أن

هناك من يحاولون سرقة الرأس فأمر بحفظها بكل عناية فى مدفن الآباء البطاركة بالاسكندرية .

البابا بنيامين واثيوبيا :

ترجع الصلة المقدسة بين كنيسة الاسكندرية والكنيسة الاثيوبية إلى حبرية البابا أثناسيوس الرسولى حينما قام بسيامة فرومنتيوس أسقفاً للأثيوبيين ومنذ ذلك الوقت توطدت العلاقة بين الكنيستين وكان كثير من الأحباش يأتون للبرية المصرية للرهبنة فى أديرتها . ونحن عاصرنا مظاهر هذه العلاقة القوية فى حبرية البابا كيرلس السادس حتى أن الأمر وصل إلى درجة أن امبراطور أثيوبيا (كان فى ذلك الوقت الامبراطور **هيلاسلاسى**) يحضر لأرض مصر خصيصاً لنوال نعمة وبركة البابا الاسكندرى الأنبا كيرلس السادس .

فقد حدث بعد عودة الأنبا بنيامين من المنفى بقليل أن انتقل أسقف اثيوبيا إلى كنيسة الابكار وكان وقتها البابا الاسكندرى منشغلاً بتكريس بيعة القديس مكاريوس فى ديره بوادى النطرون . وفور الانتهاء من التكريس وادرك المعونة الالهية التى كانت مرافقة له والاعلانات السمائية التى رآها ، بادر إلى رسامة أحد **تلاميذه ويدعى** كيرلس أسقفاً لأكسوم وأرسله مع راهب اسمه تكلا هيمانوت عرف بقداسته وتقواه . حمل كيرلس رسالة معلمه البابا بنيامين بكل اخلاص وعلم شعبه بهمة وغيرة متقدة . ويرى بعض المؤرخين أن تكلا هذا كان مصرى المولد بينما يرى غيرهم أنه ولد فى احدى القرى القريبة من أورشليم . لكن السنكسار الأثيوبى يؤكد أنه ولد فى اثيوبيا ونشأ فيها . ولازال الأحباش يكرمون تكلا هيمانوت ويجلونه إلى هذا اليوم ويقولون انه أول من أوجد الرهبنة فى بلادهم .

تلميذ البابا بنيامين :

لتلميذ البابا دور هام فى تاريخ الكنيسة لا يمكن انكاره يسجله التاريخ بمنتهى الفخر **والاعتزاز** وتذكره الكنيسة من عام الى عام على مر الأجيال . وقام كاتب

هذا المقال بعرض لنماذج من هؤلاء التلاميذ الأتقياء منذ عصر القديس مرقس الانجيلى اول البطاركة وتلميذه البابا انيانوس مروراً على البابا الكسندروس وتلميذه البابا أثناسيوس الرسولى حتى عصر البابا كيرلس السادس وتلاميذه الثلاثة (نيافة الأنبا مينا أسقف دير مارمينا بمريوط والقس رافائيل آفامينا والأب متياس البراموسى المتوحد) وذلك بمجلة مدارس الأحد عام ١٩٨٧ .

وفى هذا المقال نحن بصدد شخصية فريدة اخرى من تلاميذ الباباوات . لقد ورد فى سيرة البابا بنيامين اسم القس أغاثون . وكان هذا الأب المبارك كاهناً فى الاسكندرية من اهالى مريوط حيث ارتفعت قباب كنيسة مارمينا **العجايبى**. فنشأ فى بيعة مشبعة بالروح الدينية والتى استثارت فيه الميل الى التأمل فى الإلهيات وفى دراسة الكتب المقدسة وسير الآباء . وازدادت النعمة والحكمة بتقبله سر الكهنوت وادرك عظم المسئولية الملقاة على كتفه إذ كان يعرف أنه ينبغى أن يكون حارساً لاخيه . ففى زمن هرقل كان يتزى بزى العلمانيين فى مدينة الاسكندرية ويطوف فى الليل ليثبت الأرثوذكسيين المختفين ويقضى حوائجهم ويناولهم من الأسرار المقدسة وفى النهار كان يحمل على كتفه صندوقاً به آلات النجارة ويتظاهر أمام المضطهدين بانه نجار حتى لا يعترضوا سبيله فى الوصول لخراف الحظيرة قبل أن تهلك . مكث على هذا الحال عشر سنين الى حين دخول العرب مصر وعودة البابا بنيامين الى مقر كرسيه بالاسكندرية . عرف البابا بالجهاد المبارك الذى كان لهذا الاب طوال فترة الاضطهاد وتفانيه فى الاهتمام بالرعية . فتهلل البابا الاسكندرى حين وجد من بين ابنائه من طغت عليه النعمة الإلهية وملأته حباً فى الخدمة الى هذه الدرجة . ومن ثم اتخذه تلميذاً له . فأستمر القس أغاثون فى تفانيه فى الخدمة . ورأى أن من اعظم الواجبات الملقاة عليه تدوين سيرة البابا بنيامين . فعكف على كتابة السيرة ووصف فيها كل ما جرى فى هذه الفترة من حوادث جسام . وقد اوردنا بهذا المقال الوصف الشيق الذى كتبه فى تكريس هيكل بنيامين بدير انبا مقار .

وكانت السنوات التى قضاها القس أغاثون فى تلمذته للبابا بنيامين فترة تدريب واعداد وتلمذة حقيقية . فقد تهيأت له الفرصة للأتصال بالشعب اكثر فأكثر وبالتالى لمعرفة حاجات هذا الشعب ومطالبه . وفى خلال فترة مرض البابا الاسكندرى ائتمنه البابا على تصريف امور الكنيسة ، مما دعا الشعب أن يقول عنه : « لقد أحسن ابواه تسميته إذ جاء اسمه على مسمى بالفعل . فإن كلمة أغاثون معناها الصلاح ، وهذا الكاهن الصالح كل الصلاح » .

ثم يذكر التاريخ الكنسى بعد ذلك أن الشعب الواعى مع الاكليروس أجمعوا على أختيار هذا الأب الراهب الذى بدرجة قس بطريركاً على الكرسى المرقسى طبقاً لتقاليد كنيسة الاسكندرية العريقة وذلك خلفاً للبابا بنيامين وصار يحمل اسم البابا أغاثون البطريرك التاسع والثلاثين من باباوات الكرازة المرقسية .

الغروب الحزين :

بدأت أيام خدمة البابا الاسكندرى الوقور الانبا بنيامين أن تكتمل وبدأ هو الأستعداد والسهر لعودته الى بيته (أى كنيسة الابكار) . فبعد ما أنتهى من ترتيب بيعته بالترتيب الحسن بعد عودته من منفاه ، حتى أصيب بمرض فى رجليه اقعده سنتين كاملتين أحتمل فيها الألم والوجع بصبر وهدوء. وحسب الرؤية التى قد أعلنت له من قبل انه سيغادر الجسد فى تذكار تكريس بيعة القديس انبا مقار ، فما أن انبثق فجر اليوم الثامن من شهر طوبة المبارك (١٧ يناير ٦٦٢ م) حتى فاضت روح البابا بنيامين الى باريها .

كلمة ختامية :

وبعد أن انتهت ــ بالمعونة الإلهية ــ من تسجيل تلك الفترة من تاريخ كنيستنا حسب المراجع المتوفره لدى لابد وأن اذكر هذه الحقيقة بكل امانة .

عندما شرعنا فى جمعية مارمينا العجايبى بالاسكندرية فى اصدار رسالتنا الثانية عشر أتفقنا على أن تكون تكملة للجزء الأول الذى صدر من قبل (صور من تاريخ القبطــ الرسالة الرابعة) عام ١٩٥٠ والتى عكف على كتابتها فى ذلك

مجموعة صخمة من المؤرخين المقتدرين. وعند توزيع مسئوليات كتابه هذا الجزء الثانى أخترت أن ادون سيرة البابا أخرسطوذولس البطريرك السادس والستين (١٠٤٦ـــ١٠٧٧). كان الوقت بالنسبة لى ضيقاً للغاية وانتطرت طويلاً حتى يحين الوقت لكتابة السيرة ولكن دون جدوى. فى نفس الوقت أشار على رئيس جمعيتنا المبارك بالكتابة فى سيرة البابا بنيامين. وبمعونة خاصة وجدت بعضاً من الوقت. فعكفت على الاطلاع على ظروف تلك الفترة من التاريخ وقبل أن انتهى من تاريخ الأيام الأخيرة من حبرية البابا الاسكندرى بدأت فى تدوين هذه السيرة فى صورتها النهائية قبل تسليمها للمطبعة. وفوجئت فى أثناء انهاء كتابة هذه السيرة أن تاريخ الانتهاء منها كان موافقاً ١٧ يناير وهو نفس تاريخ تكريس بيعة القديس انبا مقار بوادى النطرون وتاريخ نياحة البابا بنيامين. وهذا يوضح بما لا يدع مجالاً للشك أن هذه الجمعية التى بدأت تعمل فى حقل الدراسات القبطية منذ نوفمبر ١٩٤٥ مسنودة بمعونة إلهية خاصة. بل اريد أن اقول اكثر من ذلك أن الله عن طريق هذه الاشارة الخفية اراد أن يقول لنا أننا نسير على درب آبائنا الأولين.

المراجـــع :

١ ـــ الأب متى المسكين : الرهبنة القبطية (فى عصر القديس انبا مقار) ـــ دير القديس انبا مقار ـــ وادى النطرون ـــ الطبعة الأولى ١٩٧٢ .

٢ ـــ دكتور منير شكرى : أديرة وادى النطرون ـــ رسالة مارمينا السادسة ـــ جمعية مارمينا العجايبى بالاسكندرية ـــ ١٩٦٢ .

٣ ـــ ايريس حبيب المصرى : قصة الكنيسة القبطية ـــ الكتاب الثانى ـــ الطبعة الثانية ١٩٧٦ .

٤ ـــ الأسقف الانبا ايسيذورس : الخريدة النفسية فى تاريخ الكنيسة ـــ الجزء الثانى ـــ ١٩٦٤ .

٥ ـــ الشماس منسى القمص (المتنيح القس منسى يوحنا) : كتاب تاريخ الكنيسة القبطية ـــ الطبعة الثالثة ـــ ١٩٨٢ .

٦ ـــ كامل صالح نخلة : كتاب تاريخ وجداول بطاركة الاسكندرية القبط وجدول عام جامع بين اقوال المتقدمين ـــ ١٩٤٦ .

٧ ـــ عمر طوسون : وادى النطرون (رهبانه وأديرته) ـــ الاسكندرية ١٩٣٥ .

٨ ـــ دكتورة نعمات أحمد فؤاد : شخصية مصر ـــ ١٩٨٢ .

٩ ـــ دكتور مينا بديع عبد الملك : تلميذ البابا ـــ مجلة مدارس الأحد (السنة الحادية والأربعون) ـــ العدد السابع والثامن ـــ ١٩٨٧ ـــ صفحة ١٥ـــ١٨ .

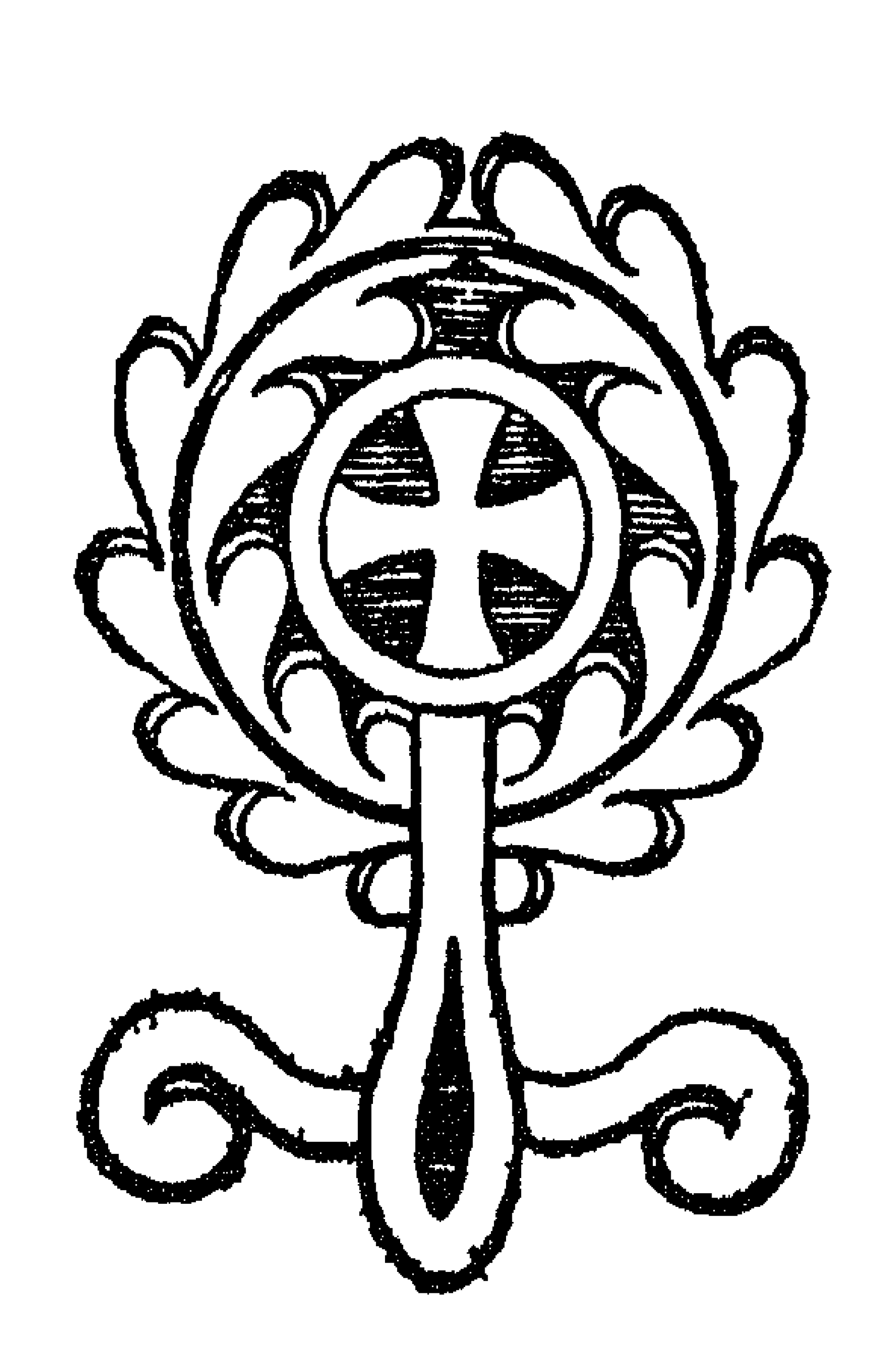
١٠ـــ دكتور مينا بديع عبد الملك : من صفحات التاريخ (كنيسة مارمرقس بالاسكندرية) ـــ مقال بجريدة وطنى فى ٨ نوفمبر ١٩٨٧ صفحة ٦ .

١١ــ د. الفريد ج بتلر : فتح العرب لمصر . (ترجمة محمد فريد ابو حديد) الهيئة العامة للكتاب ــ سلسلة تاريخ المصريين رقمى ٢٧ ، ٢٨ ، عام ١٩٨٩ .

١٢ــ محمود عكوش : مصر فى عهد الإسلام (خواطر فى تاريخ ونبذ عن آثارها) ــ القاهرة ــ مطبعة دار الكتب المصرية ــ ١٩٤١ .

١٣ــ سير هارولد بل : الهيلينية فى مصر (بحث فى وسائل انتشارها وعوامل اضمحلالها من الاسكندر الاكبر الى الفتح العربى) ــ ترجمة زكى على ــ دار المعارف ــ مصر ــ ١٩٥٩ .

١٤ــ دكتور مراد كامل : يوحنا النقيوسى ــ رسالة مارمينا الرابعة (صور من تاريخ القبط) ــ جمعية مارمينا العجايبى بالاسكندرية ــ ١٩٥٠ .



الانبا مكاريوس
مطران أسيوط وبطريرك الكرازة المرقسية
البطريرك (١١٣)

(١٩٤٤ م ـ ١٩٤٥ م)

القمص أيوب مسيحة
سكرتير مطرانية أسيوط

مقدمة عامة :

لجماعة المؤمنين الأتقياء مكانتهم البارزة فى كنيستهم المقدسة . وذلك فى حياتهم أولا . ثم بعد انتقالهم الى أبديتهم السعيدة ، وحتى على مدى الدهور ومرور الأزمان .

ولقد عرفنا عن الكنيسة التى انجبتهم كيف عمدت الى تكريمهم البالغ . ذلك وهى تذكرهم فى أحاديث وصلت بهم الى حد الخلود . بعد أن كانوا لها نعم الأبناء البررة بل ونعم المعترفين والشهود .

أننا بمعونة الرب وارشاد روحه القدوس ، وعملا على الاقتداء بآباء وإخوة لنا عرفنا عنهم حياة الإيمان فى رسوخها وثباتها . وحياة العبادة الكاملة فى **اصوامها وصلواتها** . نشعر بل وندرك تماما أننا سنكون لهم نعم البنين لخير الآباء ، بل ولهم أنفسهم نعم النظراء . حتى بذلك لا نكون لتاريخهم الكتاب فقط والقراء . ولكى لا نكتفى بالإعجاب بهم والثناء . لهذا نرجو الله أن يعيننا كما أعانهم ، ويحسن خلاصنا كما أحسن خلاصهم . وأن يجمعنا بهم فى آخرة صالحة .

هذه كلمتنا التى نرى أنها المدخل الى الحديث عن حياة حبرنا الجليل **البابا** مكاريوس مطران أسيوط وبطريرك الكرازة المرقسية المئة والرابع عشر .

* * *

يحتوى هذا الحديث على النواحى الآتية :

أولاً حياته العالمانية :

والأنبا مكاريوس تفضل فكفانا مشقة البحث عن موضوع حياته العلمانية هذه . بعد أن قام هو بتسجيل كل المعلومات الخاصة به وذلك بالنسبة الى هذه المرحلة التى حملتها الينا أولا بعض الكتب المقدسة التى سجل على أوراقها البيضاء هذا التاريخ . أما ثانية فهو فى مجموعة أخرى من كتب الكنيسة الطقسية التى قام هو بنسخها بيده وهذا ما جاء بها .

وُلد قداسته فى مدينة المحلة الكبرى صباح يوم الأحد ١٨ فبراير سنة ١٨٧٢ ودعى باسم عبد المسيح . وهو اسم جده لأبيه . وكم كان جميلا من قداسته أن ينتهز هذه الفرصة ليسجل ما طاب له من الحديث عن والديه الأعزاء . فراح يذكر لهما تقواهما التى تجلت فى مداومتهما على صلوات السواعى ليلا ونهارا . ثم مواظبتهما على تأدية العبادة الكاملة فى أصوام وصلوات وإضافة للغرباء فى فيض من الحسنات والصدقات . الشىء الذى جعل الكثيرين هنا وهناك يشهدون لهما بحياة الفضيلة وعمل الخير . وقد كان من أبرز هذه الفضائل أن والده لقنه وهو لم يزل بعد فى سن الرابعة من حياته كما يقول البسملة والمجدلة وصلاة الشكر وبعض المزامير . وجملة صلوات أخرى . كما أنه أدخله مكتب الكنيسة قبل أن يصل الى نهاية السنة الخامسة من عمره . وذلك كعادة أولاد جيله فى ذلك الزمان . وكان طبيعيا أن يقطع مرحلة بل ومراحل أخرى فى استيعاب الكثير من الصلوات وطقوس الكنيسة المتنوعة والمتعددة . والى أن وصل الى سن العاشرة كان قد أصبح مؤهلا لدرجة الشماسية مع خمسة من اخوانه وزملائه الذين رسموا جميعا شمامسة بيد قداسة الأنبا باسيليوس مطران القدس أثناء زيارته لمدينة المحلة الكبرى التى كانت فى ذلك الوقت تابعة مع غيرها من البلاد لابروشية القدس .

وهكذا يواصل الشماس عبد المسيح حياته الدراسية الى أن يواجه المرحلة التالية من مراحل حياته المباركة والتى هى .

ثانيا : حياته الرهبانية :

كانت مدينة المحلة الكبرى وقفا على دير القديس الأنبا بيشوى . ولهذا كان رئيس الدير ينتدب راهبا من قبله لزيارة هذه المدينة من وقت الى آخر كما تقضى بذلك التقاليد الكنسية بالنسبة للصلة التى تربط المدينة بالدير . وكان قد ترتب على ذلك أن تعرف الفتى عبد المسيح بهذا الراهب الذى راح يحدثه بناء على رغبته وكطلبه المتواصل عن الدير ورهبانه ، والرهبان وصلواتهم . فى مجامعهم كما وفى وحدتهم وتوحدهم . وكان لابد أن يتأثر الفتى بهذه الأحاديث التى ملكت فيه مشاعره وعواطفه . وبات وأصبح يعيشها فى أحلامه ويقظته . والى أن بلغ الفتى سن السادسة عشر حتى تجاوب تماما مع إرادته الصالحة . ولم يكن منه الا أن يودع الأهل والأقارب ويسافر الى عزبة دير الانبا بيشوى ببلدة كفر داود . وهناك تلاقى برئيس الدير الذى لما رأى فيه رغبته الصادقة والأكيدة فى حياة الرهبنة ارسله الى الدير بوادى النطرون . وهناك وضعه أمين الدير تحت ارشاده وأخذ يختبر نواياه ويراقب تصرفاته حتى اذا وضحت أمامه صحة رغبته هذه وسلامتها كتب له تزكية من مجمع رهبان الدير وبموجبها نال درجة الرهبنة ودُعى الراهب عبد المسيح الأنبا بيشوى . وكان ذلك بتاريخ ١١ يونيه سنة ١٨٨٨ ، وهكذا بدأ يعيش حياة الرهبنة فى فضائلها ونسكها حتى وهو يلاقى فى هذا السبيل الكثير من المتاعب والمشقات التى كانت كافية لأن تثنيه عن عزمه بل وتلقيه فى هوة من الفشل واليأس . ولكنه بصبره واحتماله أمكنه أن يتمسك برهبنته بكل قوة ممكنة دون أن يتراجع الى الوراء . وفى هذه الظروف الحرجة قصد الرب أن يعزيه التعزية الكبرى **حيث تفضل قداسة الأنبا يوأنس مطران البحيرة فى ذلك الوقت فرسمه قسا على كنيسة دير الأنبا بيشوى. وذلك بتاريخ يوم الأحد ١٨ مايو سنة ١٨٩٢ .**

فى هذه السنة ذاتها حدث نزاع خطير بين البطريرك الأنبا كيرلس الخامس والمجلس الملى العام . وهو النزاع الذى انتهى بنفى البابا الى دير البرموس والأنبا يوأنس الى دير الأنبا بولا .

وفى أثناء إقامة البابا كيرلس بدير البرموس كان يقوم بكتابة رسائله المتنوعة والمتعددة واحد من الرهبان . والذى لما تكاثرت عليه هذه المهمة كتب الى القس عبد المسيح المحلاوى بالحضور الى دير البرموس ليساعده فى القيام بهذه الخدمة . فبادر بالذهاب اليه وأخذ يعمل معه الى أن انفرجت هذه الأزمة وعاد الأب البطريرك الى مقره بالقاهرة وذلك بتاريخ ٢٠ يناير سنة ١٨٩٣ الا أن الراهب الذى استدعى القس عبد المسيح المحلاوى لم يسمح له بالعودة الى ديره بعد أن انتهت مهمته . ولكنه رأى أن ينتفع بمواهب هذا الراهب الشاب حيث طلب منه أن يبقى بجانبه ليساعده فى الكتابة وتأليف الكتب وتنظيم المكتبة بالدير حيث صرف الاثنان سنة كاملة فى التعبد والدراسة على مقربة من مكتبة الدير عاد بعدها القس عبد المسيح الى دير الأنبا بيشوى للخدمة الكهنوتية هناك نظرا الى الحاجة الملحة التى تستدعى وجوده فى الدير وذلك فى الوقت الذى أصبح فيه رهبان هذا الدير شيوخا كبارا يتعذر عليهم ممارسة خدمة المذبح وما تتطلبه من جهود قد يعجزوا عن القيام بها .

وفى دير الأنبا بيشوى ومنذ أول عهد القس عبد المسيح المحلاوى بالخدمة لقى الكثير من المتاعب التى لم يقو على احتمالها . وقد وصل الخبر الى دير البرموس فانزعج كثيرا الراهب الذى سمح له بالعودة الى ديره . حتى انه قرر أن يذهب الى دير الأنبا بيشوى ليعرف كل شيء بنفسه .

وهناك لم يجد رئيس الدير الذى عرف عنه الكثير من قساوته الجبارة على القس عبد المسيح . فلم يكن منه والحالة هذه الا أن يكتب لقداسة البابا كيرلس شارحا لقداسته مأساة هذا الراهب المضطهد وما لاقاه من اساءة وإهانة وهى الرسالة التى ترتب عليها أن قداسة البابا أرسل على الفور يستدعى هذا الراهب الذى سرعان ما وصل اليه فى ١٩ مايو سنة ١٨٩٥ وعملا على تعزيته الكاملة تفضل فعينه سكرتيرا خاصا له . ثم منحه رتبة القمصية وذلك فى اول سبتمبر سنة ١٨٩٦ وبذلك أصبح يعرف منذ هذا اليوم باسم القمص عبد المسيح المحلاوى .

ثالثا : ترشيحه للمطرانية :

بعد أن خلا كرسى أسيوط من اسقفه الذى تنيح بتاريخ ١٤ مارس سنة ١٨٩٧ راح شعب أسيوط يبحثون عن راهب يستطيع أن يتولى هذا المنصب العظيم . وفى الوقت المناسب قام الى القاهرة وفد من رجال الكنيسة حيث تقابلوا **مع قداسة البابا كيرلس الذى وقع اختياره على سكرتيره الخاص القمص عبدالمسيح المحلاوى . فقوبل اختياره من الوفد بالاستحسان الكلى . والذى ترتب عليه** رسامته المباركة مطرانا على اسيوط . وكان ذلك بتاريخ يوم الأحد ١٢ يوليو سنة ١٨٩٧ وهو يحمل اسم الأنبا مكاريوس مطران اسيوط . وهو الأسم الذى كان يحمله مطران اسيوط الأسبق .

وعلى أثر ذلك غادر الأنبا مكاريوس القاهرة الى اسيوط حيث استقبله شعب الأبروشية بكل حفاوة وترحيب وتكريم .

رابعاً : آثاره ومآثره فى أسيوط :

١ــ تبين لنيافته أن مدينة أسيوط بالذات قد خلت من وجود مدرسة قبطية . فلم يكن منه الا أن يعمل على إيجاد مدرستين . أولهما مدرسة للبنين اسسها سنة ١٩٠٠ وأخرى للبنات اسسها فى سنة ١٩٠٤ فكانت هى المدرسة الأولى والوحيدة للبنات لا فى اسيوط وحدها بل وفى الصعيد أيضا .

٢ــ كان مقر المطرانية قائما بجوار كنيسة الشهيد أبادير . فما كان من نيافته الا أن يشترى رقعة واسعة من الأرض الفضاء تقع فى الجهة البحرية من مدينة أسيوط وسرعان ما بنى عليها كنيسة كبرى باسم القديس مرقس الرسول . كما أقام بجوارها مقراً لإقامته مع الكثير من المبانى الملحقة بالمطرانية .

ولأن الأرض التى أقام عليها الكنيسة والمطرانية كانت مملوكة قبلا لدير الانبا انطونيوس فقد رأى نيافته مجاملة منه لهذا الدير الذى تعاون معه فى تحقيق رغبته الصالحة فى اقامة الكنيسة والمطرانية . فقد قرر نيافته أن يخصص جانبا من الدور الأول لمبنى المطرانية جعله كنيسة تحمل اسم الأنبا انطونيوس .

٣ـــ حدث فى أوائل سنة ١٩١١ أن توترت الروح الوطنية فيما بين عنصرى الأمة . فرأى نيافة الأنبا مكاريوس أن يعمل على تهدئة الخواطر فدعا الشخصيات البارزة من أبناء الكنيسة فى أسيوط الى عقد مؤتمر فى اسيوط للعمل على العودة الى حياة المحبة والسلام والهدوء والأطمئنان . وفعلا كان له ما أراد من السلام الكامل الذى عاشته اسيوط وشعبها المبارك بعد انعقاد هذا المؤتمر تحت رعايته والذى بدأ أولى جلساته فى يوم ٦ مارس سنة ١٩١١ .

خامساً : وفى بلاد الأبروشية :

ومن الطبيعى أن تكون لنيافته آثاره الطيبة فى كل من بلاد الابروشية التى يتناثر بعضها فى كل من سفح الجبل الشرقى والجبل الغربى . وعلى امتداد شاطىء النيل الشرقى والغربى أيضا .

هذا وإن كنا ندع جانبا الكثير من الخدمات التى اقتضتها رعاية الأب المطران لهذه البلاد فاننا نذكر بالخير الجانب الهام منها والذى يذكر فى تجديد وبناء الكنائس وفى كثير من هذه البلدان .

سادساً : ترشيحه للبطريركية :

كان على أثر نياحة البابا يوأنس التاسع عشر فى ٢١ يونيه سنة ١٩٤٢ أن اجتمعت اللجنة الخاصة بترشيح البطريرك الجديد والتى انتهت انتخاباتها بفوز الأنبا مكاريوس . وكان ذلك بتاريخ ٤ فبراير سنة ١٩٤٤ وعلى أثر ذلك سافر قداسته الى اسيوط لتصفية أعماله هناك . ثم عاد منها بعد يومين حيث استقبله الشعب فى محطة القاهرة استقبالا حماسيا رائعا ، وتعالى الهتاف بحياته .

ولما كملت الترتيبات اللازمة لترقيته الى درجة البطريركية احتفى الآباء الأحبار بتنصيبه يوم الأحد ١٣ فبراير سنة ١٩٤٤ وكان ذلك فى الكاتدرائية المرقسية الكبرى بالازبكية بالقاهرة .

سابعاً : متاعب البطريركية :

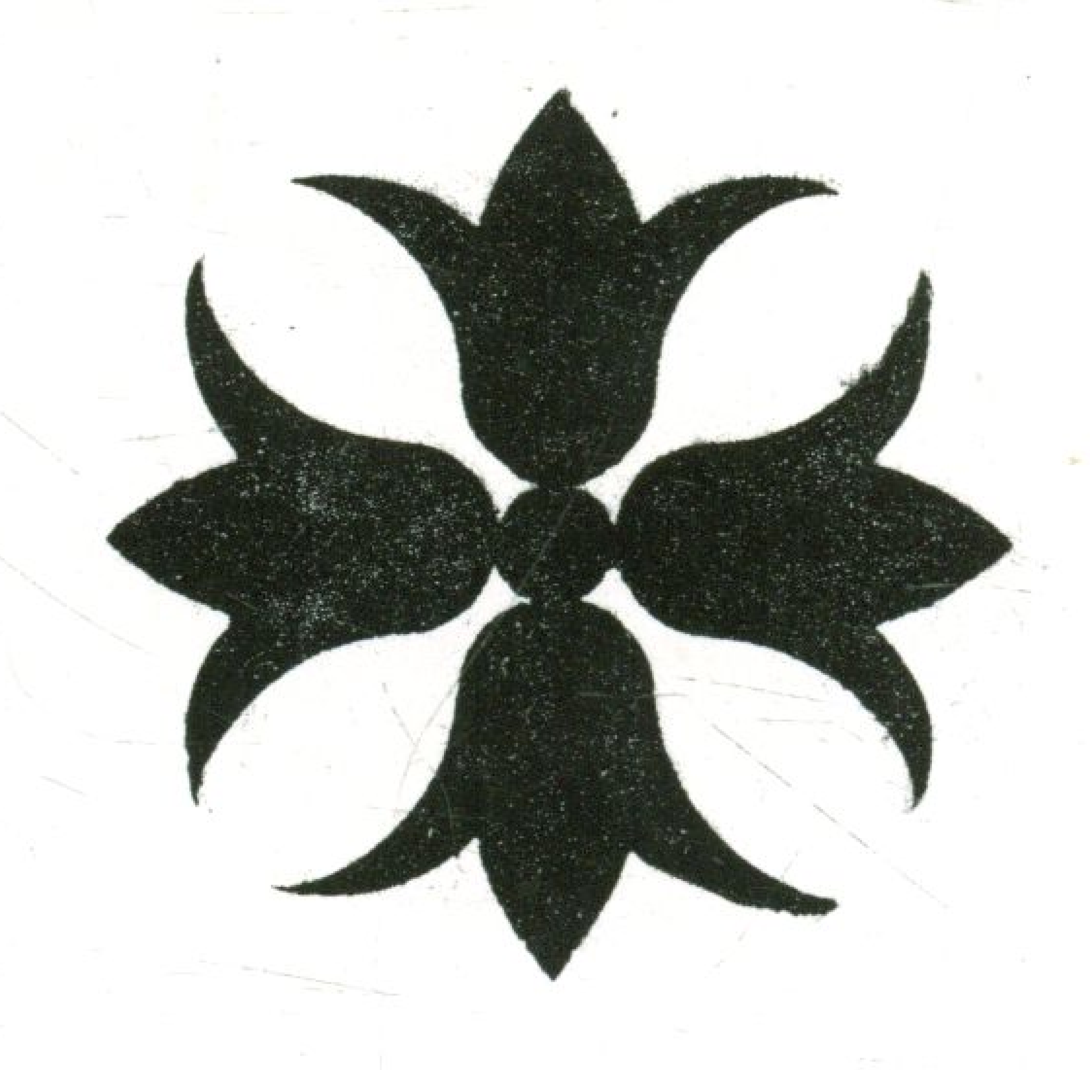
كان للأب البطريرك الأنبا مكاريوس أن يواجه منذ أول عهده بالبطريركية مشكلة أوقاف الاديرة والبطريركية . حيث أصر أعضاء المجلس الملى على ادارتها من جهة . بينما رأى المجمع المقدس أن يحتفظ لنفسه بهذا الحق فى ادارتها . ولقد كان من أمر الأنبا مكاريوس ، وقد عرف عنه تجاوبه مع المجلس الملى انه وافق على مطالب اعضائه وكتب لهم وثيقة بذلك . وهى الوثيقة التى لم تصادف قبولا من جانب أعضاء المجمع المقدس الذين استنكروا ما جاء بكتاب البطريرك خاصا بإدارة هذه الأوقاف . وبهذا التصرف اصبح البطريرك حائراً بين الطرفين . ولم يعد فى وسعه أن يوفق بينهما . الأمر الذى دعاه الى ترك الدار البطريركية الى دير الأنبا بولا وذلك فى يوم ٧ سبتمبر سنة ١٩٤٤ والتى استمر مقيما به حتى يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٤٤ ثم كان لابد أن يعود الى مقر كرسيه بالقاهرة . ولأن المشكلة كانت لا تزال قائمة فلم يكن غريبا عليه أن يواجه الحياة بنفس حزينة متألمة .

ومازال العهد به هكذا حتى النهاية لهذه الحياة بوجهها الحزين الباكى يوم ٣١ اغسطس سنة ١٩٤٥ حيث دفن مع البطاركة بالكنيسة المرقسية الكبرى . وكان قد استمر على كرسى البطريركية سنة واحدة وستة شهور وستة عشر يوماً .

بركة شفاعته فلتكن معنا آمين .



مركـز الدلتـا للطباعـة
٢٤ شارع الدلتا ـــ اسبورتنج
تليفون ٥٩٥١٩٢٣



مطبوعات الجمعية

١ ــ رسالة مارمينا فى عيد القيامة (١٩٤٧) .

٢ ــ رسالة مارمينا فى عيد النيروز (١٩٤٧) .

٣ ــ رسالة مارمينا عن الرهبنة القبطية (١٩٤٨) .

٤ ــ صور من تاريخ القبط (١٩٥٠) .

٥ ــ صفحة من تاريخ القبط (١٩٥٤) .

٦ ــ اديرة وادى النطرون (١٩٦٢) .

٧ ــ المرجع فى قواعد اللغة القبطية (١٩٦٩) .

٨ ــ القديس اثناسيوس الرسولى (معلم الكنيسة) (١٩٧٨) .

٩ ــ عبقرية انبا باخوم وأثرها على الرهبنة والحضارة الغربية (١٩٨١) .

١٠ــ رسالة مارمينا فى عيد النيروز المجيد بمناسبة مطلع القرن التاسع عشر القبطى (١٩٨٣) .

١١ــ رسالة مارمينا فى الدراسات القبطية (الجزء الأول ... الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وعقائدها) (١٩٨٦) .

١٢ــ صور من تاريخ القبط (الجزء الثانى) (١٩٩٠

يطلب من :

مكتبات كنائس الاسكندرية

الثمن ١٨٠ قرشاً

اقل من التكلفة